التعليقات المختصرات
شرح
الواجبات المتحتمات

شرح فضيلة الشيخ

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى الحجوري الأثري

التَّعْلِيقَاتُ المُخْتَصَرَاتُ
شَرْحُ
الوَاجِبَاتِ المُتَحَتِّمَاتِ

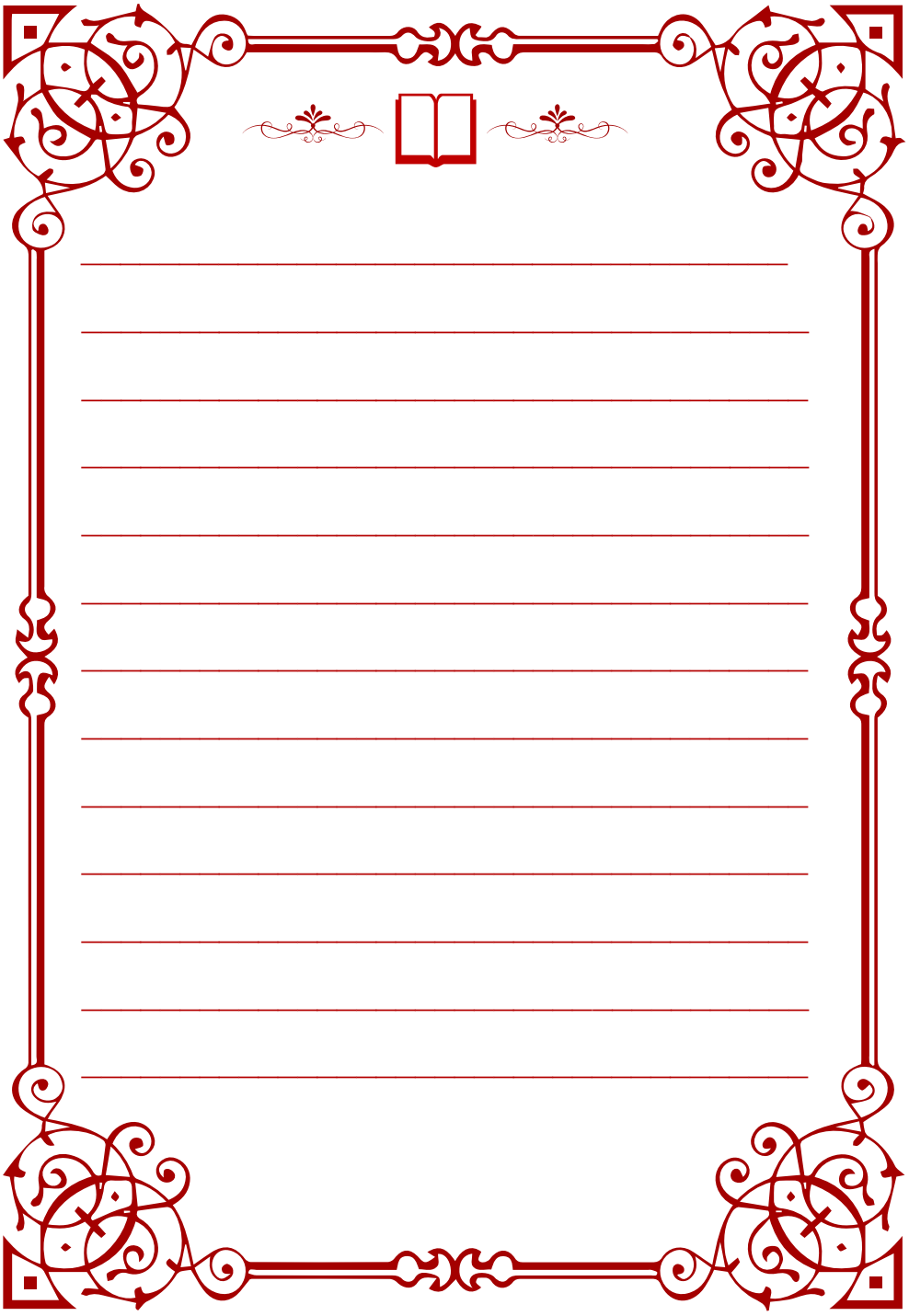

التَّعْلِيقَاتُ المُخْتَصَرَاتُ
شَرْحُ
الوَاجِبَاتِ المُتَحَتِّمَاتِ

شرح فَضِيلَةُ الشَّيخ

أَبِي مُحَمَّد عَبْد الحَمِيد بن يَحْيَى الحَجُّورِي الزُّعَرِي

كَانَ اللهُ لَهُ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَة

Abu Al-Hasan
Technical Formatting & Printing
للتنسيق الفني والطباعة
Phone: +967 771532950

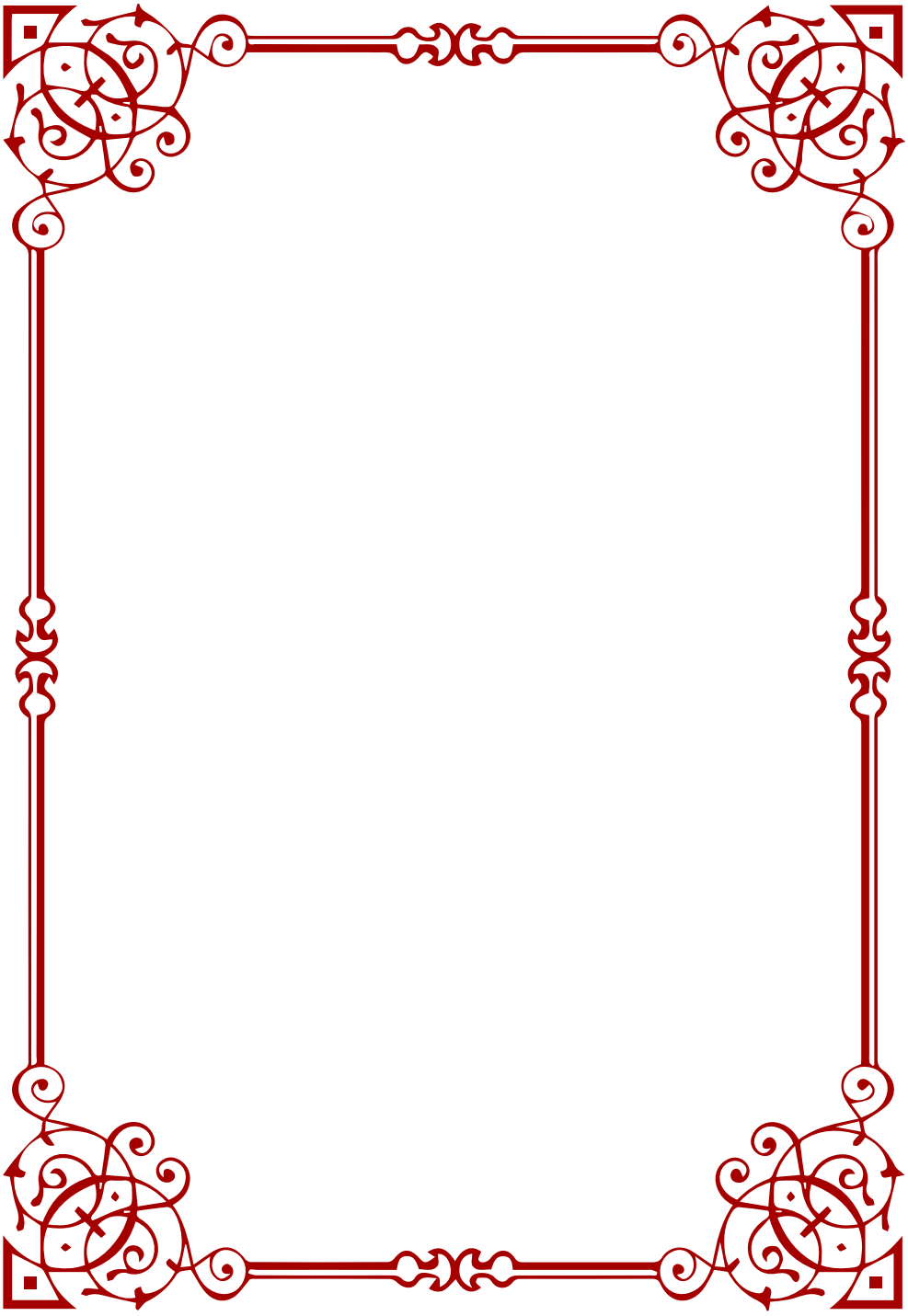

التَّعليقاتُ المُختصرات
شرح
الواجباتِ المُتحتِّمات

شرح فضيلة الشَّيخ

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى الحجوري الزعكري

الطبعة الأولى

١٤٤٨هـ - ٢٠٢٦م

روابط قنوات فضيلة الشيخ على منصات التواصل

الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ حفظه الله تعالى

https://alzoukory.com.

https://t.me/A_Izoukory

A_Alzoukorys

https://www.youtube.com/channel

https://www.facebook.com/649918028352367

https://chat.whatsapp.com/FgIUKZ0nwzR5EYaguQttSz

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فإن رسالة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، المعروفة بالواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة.

رسالة صغيرة في مبناها، ولكنها عظيمة في معناها، يحتاجها الصغير، ويستفيدها الكبير، وقد ركز فيها على مهمات التوحيد الذي هو حق الله على العبيد؛ فمن أجله أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وخلق العباد: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾

[النساء:٣٦]، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦].

فقوله (الواجبات) أي: الأمور التي ألزم الله عَزَّوَجَلَّ بها وألزم بها رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فالواجب هو طلب الفعل على وجه الإلزام.

وقوله (المتحتمات) أي: أنه يتحتم علمها، فالجاهل بها جاهل بمهمات الدين، والجاهل بها جاهل بالتوحيد الذي هو حق الله على العبيد، والجاهل بها لما سواها أجهل. فإذا كان المؤمن لا يعرف التوحيد بأقسامه الثلاثة، ولا يعرف الأصول الثلاثة التي أوجبها الله عَزَّوَجَلَّ عليه، ولا يعرف نواقض الإسلام ومهمات ذلك، لحقه الضرر.

قوله (المعرفة) أي: تتحتم معرفتها، والعلم بها، والقراءة لها، والحفظ لها لمن تيسر له ذلك.

قوله (على كل مسلم ومسلمة) ليس على الرجال فقط، بل على الرجال والنساء؛ لأن طلب العلم يتعين على الرجال والنساء.

كتبه

عبدالحميد بن يحيى بن زيد الزُّعكري

١٣/ من رجب/ ١٤٤١هـ

مقدمة المؤلف

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ)

ابتدأ بالبسملة اقتداءً بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فإنه افتتح كتابه بها، وأول ما تفتح المصحف تجد أمامك: بسم الله الرحمن الرحيم.

ومعنى الباء: للاستعانة.

والاسم: من السمو وهو العلو والرفعة.

(**والله**): لفظ الجلالة علم على الذات العلية، وهو أعرف المعارف والاسم الأعظم، مشتق من "الإله"، وهو المعبود محبةً وتعظيمًا.

(**الرحمن**): اسم من أسماء الله الحسنى، وهو من الأسماء المختصة. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [**الإسراء**:١١٠]. وأما قول بعض الكفار: "وما الرحمن؟" فهذا من باب المكابرة أو من باب الجهل؛ لأنه قد وجد أن بعض العرب يقول: "ألا غضب الرحمن رب يمنها"، وهو على وزن (**فعلان**) أبلغ من الرحيم.

(**الرحيم**): اسم من أسماء الله الحسنى، وكلاهما يتضمن صفة الرحمة، إلا أن الرحيم ليس مختصًا بالله، فقد يسمى غير الله عَزَّوَجَلَّ بالرحيم، كما سمى الله عَزَّوَجَلَّ محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [**التوبة**:١٢٨].

ويؤتى بالبسملة قبل الكتابة والقراءة والأكل والشرب ودخول البيت والخروج منه وفي كثير من أمور الناس؛ لبركتها وفضلها ولحاجة الناس إليها؛ لأنها من أسباب عصمة الله عَزَّوَجَلَّ للإنسان من الشيطان.

**** وهنا تنبيه:**

قوله (لشيخ الإسلام محمد بن سليمان التميمي) بعضهم ينسبه إلى جده؛ لأن بعض الناس إذا رأى "محمد بن عبد الوهاب" ما يأخذ الرسالة، يقول: "هؤلاء وهابية ضلال"، لكن نسبوه إلى جده بحيث يأخذ الرسالة، فإذا وجد فيها الحق واعتقد الحق بعد ذلك فلا حرج.

قال: (الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعلمها):

الأصول هي الأسس التي تقوم عليها الأشياء: أصل الشجرة أساسها، أصل البيت أساسه، أصل الأسرة هو الأب والجد، أصول العلوم مهمات العلوم. فالأصل: الذي يقوم عليه غيره.

(الثلاثة): الأصول كثيرة، أركان الإيمان أصول وهي ستة، كما في حديث عمر: «**الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**» [رواه مسلم (٨)]. أركان الإسلام أصول وهي خمسة: «**شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**» [رواه مسلم (٩)]. ركن الإحسان أصل وهو واحد: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**» [رواه مسلم (٨)]، إلى غير ذلك من الأصول.

ولكن أراد هنا أن يبين الأصول المتعينة لا سيما في باب الألوهية وما يتلوه. فهذه الأصول الثلاثة ينبغي للإنسان أن يعرفها وأن يعرف ما تضمنته وكل ما يتعلق بها. وسنرى أننا لو حققناها دخل فيها الدين أجمع، الأصول الثلاثة لو علمت وعمل بها كان العمل بجميع الدين.

قال: (**الأصول الثلاثة التي يجب على كل مسلم ومسلمة**)؛ (**يجب**) يعني أن الذي لا يعلمها ولا يعمل بها آثم، بل ربما لم يكن مسلمًا! من لم يعرف ربه، ولم يعرف نبيه، ولم يعرف ما لا يعذر بجهله في باب الدين قد يكون غير مسلم. فيجب على الإنسان أن يتعلم دينه.

(**على كل مسلم ومسلمة**)؛ مسلم: رجل، شاب، شيخ، حتى الصغار يتعلمون هذه الأصول وهذه المهمات؛ لأن الصغير إذا نشأ على التوحيد عاش عليه:

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الْفِتْيَانِ مِنَّا عَلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ أَبُوهُ

فمن عرف التوحيد في صغره لازمه في كبره.

ولهذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم الصغار التوحيد، كما في حديث ابن عباس: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**» [**رواه الترمذي** (٢٥١٦)].

وفي حديث جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**كُنَّا نَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ أَطْفَالٌ حَزَاوِرَةٌ، فَكَانَ يُعَلِّمُنَا الْإِيمَانَ ثُمَّ يُعَلِّمُنَا الْقُرْآنَ فَنَزْدَادُ بِهِ إِيمَانًا**» [رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٦٥)].

(**معرفتها**) يعني أنها تحتاج إلى العلم للوصول إليها، وإلى معرفة هذه الواجبات المتعينات المتحتمات. فلا تكن جاهلًا بالتوحيد؛ فإن جهلك بالتوحيد دليل على ضعف إيمانك، وعلى ضعف علمك، وعلى ضعف محبتك لهذا الدين، وعلى ضعف محبتك لرب العالمين، وعلى ضعف محبتك لسيد المرسلين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. الجهل بالتوحيد والزهد في تعلم التوحيد دليل شر وانتكاسة؛ فإن الدنيا لا تزال عامرة ما بقي الموحدون، فإذا ذهب الموحدون من الدنيا قامت القيامة، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ وَعَلَى الْأَرْضِ مَنْ يَقُولُ: اللهُ اللهُ**» [رواه مسلم (١٤٨)].

والموحد ينتفع بتوحيده وإن كان قليل العمل في بقية الأمور، كما في حديث حذيفة: "هل تنفعهم لا إله إلا الله؟ قال: نعم تنجيهم من النار"، قوم ما عرفوا صلاة ولا صيام ولا حج ولا شيء من الأركان، إلا أنهم علموا أن الإسلام قول "لا إله إلا الله" فعملوا بها.

فإذا يتعين تعلم التوحيد ومعرفة التوحيد ودراسة التوحيد.

والأصول الثلاثة نبدأ فيها الآن: فما هي الأصول الثلاثة؟ ونحن إذ نقول لك: تعلم الأصول الثلاثة، احفظ الأصول الثلاثة، ليس المراد فقط حفظ اللفظ، لا! حفظ اللفظ إن تيسر، واعتقاد المعنى، ومعرفة المعاني أيضًا؛ حتى تكون محققًا للتوحيد.

وهي: "معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**".**

انظر إلى هذه الأصول الثلاثة، قصيرة في مبناها؛ كم كلمة؟ معرفة العبد ربه ودينه ونبيه، ثلاث كلمات أو قل أربع كلمات، ولكنها تشمل الدين!

(**معرفة العبد ربه**)؛ إذا عرفت الله كيف تعرفه؟ نحن الآن نقول لك: اعرف الله، ويجب عليك أن تعرف الله. كيف يعرف العبد ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟

يعرف العبد ربه بالنظر في آياته الكونية: كالشمس، والقمر، والنجوم، والبحار، والجبال، والأنهار، والناس... ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ [**فصلت**:٣٧].

فإذا تتعرف إلى الله بهذه الآيات؛ هذه الشمس التي كل يوم تخرج وتغرب، وهذه السماوات العالية الرفيعة بغير عمد، وهذه الجبال والبحار والأنهار تدل على خالق عظيم مدبر لهذا الكون الواسع. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [**الغاشية**:١٧ - ٢٠].

وفي الأثر: "البعرة تدل على البعير"؛ إذا وجدت بعرة حق جمل دليل على أن الجمل مر من هذا الطريق. "والأثر يدل على المسير"؛ إذا وصلت في مكان ما فيه

أحد ولكن وجدت آثار المشي يدلك على وجود الناس. "وسماء ذات أبراج"؛ نجوم وكواكب، "وأرض ذات فجاج"؛ ليست على حالة واحدة: جبل، وادي، نهر، بحر، شجر، حجر، إنسان، حيوان... وهكذا. ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير؟ لا، يدل على ذلك، نعم، يدل على اللطيف الخبير.

هذا الشيء الأول الذي يعرف الله به.

وأهم منه: أن الله يعرف بآياته الشرعية؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ تعرف إلى عباده بآياته الشرعية: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [**الإخلاص**:١ - ٤]. هذه السورة يحفظها الصغير والكبير والذكر والأنثى من المسلمين غالبًا، حتى في بلاد العجم وفي بلاد العرب، كلهم يحفظون هذه السورة لصغرها -أو لقصرها، تقال هكذا: لقصرها- مع أنها تعدل ثلث القرآن. وهذا كإجابة على سؤال وجه إلى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: من ربك يا محمد؟ فكان الجواب: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ الله معبودي واحد لا شريك له، و"أحد" بمعنى الأحد، ولا يسمى بالأحد غير الله عَزَّوَجَلَّ.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾؛ كرر لفظ الجلالة، "الله" أيضًا هو الصمد. وما هو الصمد؟ الذي تصمد إليه الخلائق، السيد الذي كمل في سؤدده، العظيم الذي لا جوف له. وقيل معناها: لم يلد ولم يولد، أي الصمد هو الذي لم يلد ولم يولد. أنت الآن مولود وربما تكون والدًا، لكن الله عَزَّوَجَلَّ لم يلد لكمال حياته وقيوميته، إنما يحتاج إلى الولد الذي يموت، أما الله فـ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [**الفرقان**:٥٨]. ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾؛ ليس له أب؛ لأنه أزلي سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، الأول الذي ليس

قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء والظاهر الذي ليس فوقه شيء والباطن الذي ليس دونه شيء. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾؛ لا في ذاته ولا في صفاته ولا أفعاله، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١] أبدًا. ولا يمكن أن الإنسان يتصور كيفية ذات الله عَزَّوَجَلَّ أبدًا، وإن أراد أن يثبت له أعظم كمال؛ لأن عقل الإنسان ناقص يعرف كمالًا محددًا.

وأيضًا مما يعرفنا بالله عَزَّوَجَلَّ: أول سورة الفاتحة، كل المسلمين يجب عليهم أن يقرءوا الفاتحة في أول كل ركعة، وانظر إليها معرفة بالله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؛ تعريف بالله عَزَّوَجَلَّ. "بسم الله" الذي تقدم ذكر بعض معانيه، "الرحمن الرحيم" أي ذو الرحمة، ولفظ الجلالة "الله" يتضمن جميع صفات الكمال والعظمة والكبرياء.

ثم يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ الحمد لمن؟ لله. الحمد كله لله، الألف واللام تفيد الاستغراق؛ الحمد كله لله: الحمد على الأكل والشرب والحياة والنوم والزواج والخروج والدخول والسكن وعلى كل شيء؛ الحمد لله، هو الذي أعطاه وأسداه.

﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ رب: خالق، رازق، مالك، مدبر، العالم: العلوي والسفلي، وكل ما سوى الله عَزَّوَجَلَّ عالم.

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؛ تعريف برب العالمين، كأنه يقال: من رب العالمين؟ قيل: هو الرحمن الرحيم. ومن رحمته: إنزال الكتب، وإرسال الرسل، وخلق الجنة،

وهداية المؤمنين، وتيسير طرق العلم؛ كل هذا من رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مع إطعامنا ورزقنا وغير ذلك.

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾؛ المالك ليوم الدين. لماذا ما قال "مالك الأرض"؟ مالك الأرض قد يكون هذا معه بيت، وهذا معه أرضية، وهذا معه سيارة، لا سيما الجهال بالله عَزَّوَجَلَّ قد يقول: "هذا ملكته من نفسي"، مع أن الملك لله، لكن قال: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ يوم القيامة، لا أحد يتصرف في شيء من ملكه، فالله عَزَّوَجَلَّ هو المالك: "أنا الملك، أنا الجبار، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟" يقول الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة هكذا.

ثم قال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾؛ نعبدك يا الله ونستعين بك على عبادتك. من الذي أتى بنا إلى هذا الموطن؟ الله. من الذي جعل للناس أسماعًا وأبصارًا وأفئدة نستفيد منها؟ الله؛ ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨].

والله عَزَّوَجَلَّ يُعلم بأمرين، ويُعرف بأمرين:

- **الأمر الأول**: بآياته الكونية؛ كالسماوات، والأرض، والجبال، والأنهار، والمخلوقات؛ لأن هذه الآيات تدل على خالقٍ، عالمٍ، قويٍّ، قادرٍ إلى غير ذلك.

- **الثاني**: علمنا أنه يعرف بالآيات الشرعية؛ وهو القرآن والسنة، وأقرب سورة عندك: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]، وكذلك سورة الفاتحة، وكذلك: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ [الناس:١ - ٣]؛

عرَّف نفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بآية ثلاثة أمور هنا: أنه رب الناس، وأنه ملك الناس، وأنه إله الناس.

وأيضًا في آية الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥ ﴾ [البقرة:٢٥٥]؛ ذكر العلماء أن هذه الآية تضمنت عشر جمل، وهي أعظم آية في القرآن؛ لأنها متضمنة لأعظم ما دل عليه القرآن؛ وهو توحيد الله، وأسماء الله عَزَّوَجَلَّ، وصفات الله عَزَّوَجَلَّ.

وهكذا في آخر سورة الحشر، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر:٢٢ - ٢٤].

فلا بد أن تعرف ربك، ما يبقى الإنسان جاهلًا بربه الذي خلقه، ورزقه، وأعانه، وسدده؛ لأنك إذا عرفت أن الله عَزَّوَجَلَّ هو القوي، القهار، الظاهر؛ تعبدت له بمضمون ذلك: تخافه، وترجوه، وتتوكل عليه.

وإذا علمت أنه الغفور، الرحيم، الودود، الرحمن، السميع؛ دعوته ورجوت قبول دعائه إلى غير ذلك، وهذا باب يسمى: "الأسماء والصفات"، باب معرفة الله عَزَّوَجَلَّ يسمى بـ"باب الأسماء والصفات".

أسماء الله كثيرة، لعل كثيرًا منكم يظن أنها تسعة وتسعون، صح ولا لا؟ لحديث: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**» [**رواه البخاري (٧٣٩٢) ومسلم (٢٦٧٧)**]، لكن الصحيح أنها أكثر وأكثر وأكثر، لا يعلم عدد أسماء الله عَزَّوَجَلَّ إلا الله عَزَّوَجَلَّ، وإنما ذكر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في هذا الحديث تسعة وتسعين اسمًا مَن حفظها دخل الجنة، هذا جزاء حفظها وجزاء العمل بها، وإلا فأسماء الله لا نهاية لها، ولا حصر لها عندنا.

يقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ**» [**رواه أحمد (٣٧١٢)**]؛ يعني أسماء كثيرة لله عَزَّوَجَلَّ.

وأسماء الله تدل على معانٍ عظيمة؛ مثلًا: "الرحمن" يدل على أنه يرحم، و"القوي" يدل على أنه ذو القوة، و"العظيم" ذو العظمة، و"العزيز" ذو العزة، و"المتكبر" صاحب الكبرياء، و"السميع" الذي يسمع، و"البصير" الذي يبصر. بخلاف الإنسان؛ قد يكون اسمه "صالح" وهو طالح، واسمه "خالد" وهو ميت! خالد وهو ميت! وصالح وهو طالح، سيئ الخلق، ومحسن وهو مسيء، لكن أسماء الله كلها حسنى؛ الاسم جميل، والمعنى جميل عظيم، وهكذا أسماء النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأسماء القرآن.

فهذا هو الأصل الأول: معرفة العبد ربه، فهمتم هذه الجملة؟ ما هو الأصل الأول؟ معرفة العبد لربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: (**ودينه**)؛ الدين هو الذي يتعبد لله به، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [**آل عمران**:١٩]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [**آل عمران**:٨٥]، والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقول: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**» [**رواه مسلم** (١٠٥٤)].

فهذا الدين، من أين يؤخذ؟ علمنا أنه يجب علينا أن نعرف ربنا من الكتاب والسنة، وهذا يسمى باب الأسماء والصفات توقيفي، كذلك في باب الدين؛ من أين نصلي؟ من أين نصوم؟ من أين نزكي ونحج ونعتمر وقبل ذلك نوحد الله عَزَّوَجَلَّ؟ نعرف ذلك من الكتاب والسنة.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [**الأعراف**:٣]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [**النجم**:٣ - ٤]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [**النساء**:٦٥].

إذن لا بد أن تعرف دينك، وهو دين الإسلام. ودين الله الحق هو الإسلام منذ خلق آدم إلى أن يرث الأرض، الدين الحق الذي أنزله الله على رسله وأنزل به كتبه يسمى "دين الإسلام"؛ ولذلك نوح يقول: أنا من المسلمين، وعيسى يقول: وأنا من المسلمين، وموسى يقول: وأنا من المسلمين، وإبراهيم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ وأولاده يقولون: ونحن لك مسلمون إلى غير ذلك.

فكل دين الله الذي أُنزل هو الإسلام، لكن هذا بالمعنى العام، أما المعنى الخاص: فالإسلام هو الدين الذي أُنزل على محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، الذي لا يرضى دينًا سواه.

الآن لو أن واحدًا يذهب ويعبد الله عَزَّوَجَلَّ بما قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل أن يُحرَّف؛ يعتبر ما استسلم لله عَزَّوَجَلَّ، لا يكون مستسلمًا لله عَزَّوَجَلَّ إلا من عبد الله بما أوحاه على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فإذن لا بد للإنسان أن يعرف الدين، وليس الدين فقط أن تقول: "أنا مسلم"؛ الرافضة يقولون: "نحن مسلمون" وهم يسبون أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويكفرونهم، ويتعاطون السحر والشعوذة والكهانة والعرافة وغير ذلك من الكفريات! عباد القبور من الصوفية يقولون: "نحن مسلمون" وهم يشركون ويندون، يجعلون القبور مثل الله! ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:٩٨]، ليس معنى ذلك أنهم يسوونهم برب العالمين أنها تخلق وترزق، لا، لكن سووهم برب العالمين في دعائها، في رجائها، في التوكل عليها، في الطواف يعني بها كأنها يعني كطواف المسلمين بالبيت العتيق، والنذر لها والذبح لها!

بل الباطنية الذين يستحلون المحرمات جملة وتفصيلًا يذكرون أنهم من أهل الإسلام! واليهود والنصارى يزعمون أنهم أولياء الله وأحباؤه! إذن المسلم حقًّا هو الذي يستسلم لله عَزَّوَجَلَّ بهذا الدين الذي أوحاه الله إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة:٢٠٨]، ولا يكون الدخول في السلم كافة إلا أن نكون كما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (**ونبيه**)؛ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا هو الأصل الثالث: أن تعرف محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولا بأس أن يُعرف اسمه ونسبه، وتُعرف صفاته، إلا أنه أيضًا يجب أن تعرفه بطاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، والانتهاء عما نهى عنه وزجر، وأن لا يُعبد الله عَزَّوَجَلَّ إلا بما شرع.

وسيعود الكلام على هذا؛ لأن محمدًا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هو السفير بين الله عَزَّوَجَلَّ وبين خلق الله عَزَّوَجَلَّ، فمن عبد الله على غير طريق محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لم يُقبل منه، ومن عبد الله على طريق محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ولم يخلص لله عَزَّوَجَلَّ لم يُقبل منه، قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**» [**رواه البخاري** (١) **ومسلم** (١٩٠٧)]، وقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**» [**رواه البخاري** (٢٦٩٧) **ومسلم** (١٧١٨)].

ثم والله من العيب، عيب كما يقال أن يكون الكفار يعرفون عظماءهم؛ يعرفون هرقل، ويعرفون قيصر، ويعرفون فلانًا وفلانًا ممن كانوا كبارًا عندهم، ونحن أهل الإسلام ما نعرف محمدًا عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ! ما يصلح، لا بد أن نعرفه ونعرف ما يتعلق به، من سيرته، ومن طريقة عبادته؛ لأن معرفة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تزيدنا محبة له، وتعظيمًا، وتأسيًا، واقتداءً.

وما أحسن أن تقرأ أنه كان يصلي كذا فتصلي كما صلى، كان يصوم كذا فتصوم كما صام، كان يفعل في حجه كذا فتحج كما حج، كان لا يغضب إلا لله فتغضب لله، وتتعلم من أخلاقه الحميدة الشيء العظيم، كان خلقه القرآن، كان خلقه القرآن!

ما معنى خلقه القرآن؟ يعني ما أمر القرآن به أتى به، وما نهى القرآن عنه تركه! تصور لو فيه واحد هكذا الآن عندك أي شيء يأمر به القرآن يعمله، وأي شيء ينهى عنه القرآن يتركه، ما يكون حال هذا الرجل؟! خلق عظيم جدًّا! خلق عظيم! فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان خلقه القرآن؛ في حضره، في سفره، في غزواته، في رجوعه، في بيته، مع عدوه، مع صديقه، كان خلقه القرآن.

فينبغي لطلاب العلم أن يتخلقوا بأخلاق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يتأسوا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يحبوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يعظموا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعظيمًا شرعيًّا.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمر بن الخطاب، أو قال عمر بن الخطاب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا رسول الله، والله إنك لأحب إلي من كل شيء إلا من نفسي! لأن كل واحد يحب نفسه أكثر من غيرها؛ لو خُيِّر الإنسان بين أن يموت هو أو تموت زوجته أو يموت ولده، ربما يختار موت ولده وموت زوجته، ويقول: الزوجة سيخلف الله بغيرها، والولد سيأتي الله بغيره، لكن النفس ما لها بدل!

فعمر بن الخطاب يقول: يا رسول الله، أنت أحب إلي من كل شيء؛ من أبنائه، من نسائه، من ماله، من القريب، من البعيد، إلا من نفسي! قال له: «**لَا يَا عُمَرُ**»؛ هذا ما يصلح، هذا لا يصلح أن تكون نفسك أحب إليك من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!

قال: يا رسول الله، الآن والله إنك لأحب إلي من كل شيء حتى من نفسي! قال له: «**الْآنَ يَا عُمَرُ**»؛ الآن حققت الإيمان، ثم قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي**

نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» [رواه البخاري (١٥) ومسلم (٤٤)].

من والده: الرجل يحب أباه مهما كان؛ لأن الأب قائم على الولد وينفق على الولد ويربيه ويحرسه ويغضب له إلى غير ذلك، ومن ولده: لأن الرجل يحب ولده؛ ولذلك يعتني به ويغضب لغضبه ويتعب من أجله، ثم قال: والناس أجمعين.

إذن كيف تعرف محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى تحبه هذا الحب العظيم؟ تعرفه بقراءة سيرته الصحيحة، وكذلك بقراءة ما يتعلق بوجوب متابعته إلى غير ذلك.

فإذا قيل لك: من ربك.

هذا السؤال قد يقال لك بلسان الحال أو لسان المقال، لسان المقال: أن يقول لك واحد: من ربك؟

كثير من الناس إذا سُئل هذا السؤال يقول لك: هذا سؤال سهل! صحيح سهل: ربي الله، لكن ما معنى الرب؟ وما معنى الله؟ وما معنى الرحمن؟ وما معنى الرحيم؟

فقل: ربي الله الذي رباني.

إذن الرب هو الذي يربي عباده، يربيهم: خلقهم، رزقهم، دبر شؤونهم، أصلح من شأنهم، رباهم. يعني أنت الآن تعيش في ربوبية الله؛ أكلك من ربوبية الله، شربك، نومك، صحوك المؤمن، الكافر، البر، الفاجر، كله في ربوبية الله، رباهم الله عَزَّوَجَلَّ، هذا هو المعنى العام.

لكن المعنى الخاص: تربية الله عَزَّوَجَلَّ للمؤمن؛ أن الله ينصره، ويعينه، ويحفظه، ويكلؤه. وانظروا إلى النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وإلى الأنبياء حين يدعون ربهم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران:٨]، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [البقرة:٢٠١]، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾ [آل عمران:١٤٧] إلى غير ذلك؛ لأن كلمة رب: ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٦٢]؛ أي سيحفظني ويكلؤني.

وربى جميع العالمين بنعمه.

جميع العالمين: كل ما سوى الله، ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم:٣٤].

نومك نعمة من الله، صحوك نعمة من الله، أكلك نعمة من الله، شربك نعمة من الله والله لو حبس الله عليك البول هذا! البول الذي لا يشعر الإنسان بقيمته! لو حُبس عليك نصف ساعة لرأيت ما يُتعجب منه! يمكن تصيح! تأتي الطبيب وتكشف له عن عورتك حتى يستطيع أن يخرج لك هذا البول! وأنت تبول متى أردت، وتدخل متى أردت، وتخرج متى أردت!

وإذا يعني منعك الله الطعام أصبحت تتقيأ منها أو تتأفف منه، ما تأكل إلا بمغذية! وربما يشتد بك الحال والمغذية هذه ما تدخل، ما يجد لها عرقًا! إذن نعم الله عَزَّوَجَلَّ عليك عظيمة، استحضر هذه النعم، ومن أجلِّ نعم الله عَزَّوَجَلَّ: الإسلام، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

وهو معبودي.

أي الله هو معبودي، المعبود أي الذي يُتعبد له، يُتعبد له بالخضوع، والخشوع، والدعاء، والرجاء، والصلاة، والركوع، والسجود.

فالكفار يتعبدون لأصنامهم، لقبورهم غير ذلك، وأنت تتعبد لله.

ليس لي معبود سواه.

لا شريك له لا في ربوبيته، ولا في ألوهيته، ولا في أسمائه وصفاته.

وإذا قيل لك: ما دينك؟ فقل: ديني الإسلام، وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

هذا التعريف للإسلام:

- **الإسلام في اللغة**: الاستسلام.

- **وفي الاصطلاح**: الاستسلام لله بالتوحيد؛ يعني تستسلم لله في خوفك، في رجائك، في حبك، في رغبتك، في رهبتك، في نذرك، في جميع شأنك لله بالتوحيد؛ لأن من أشرك مع الله عَزَّوَجَلَّ ملكًا أو نبيًّا كان مشركًا منددًا، فما بالك بمن يشرك مع الله الجن والشياطين والأحجار والأشجار ويدعوهم من دون الله ويطلب منهم المدد والغوث؟! تجد أحدهم يقف عند القبر ويقول: "يا غوث!"، "يا ابن علوان ارزقني!"، والمرأة تذهب إلى القبر تقول: "يا فلان زوجني!"، والابن يعلمونه لهذا الشرك! نعوذ بالله من الضلال!

والانقياد له بالطاعة.

أيضًا بعد أن تفرد بالتوحيد «**لا إله إلا الله**» وتطبق معناها، كذلك تنقاد بالطاعة؛ صَلِّ: تصلي، صُمْ: تصوم، حُجَّ: تحج، اعتمر: تعتمر، برَّ والديك، صِلْ أرحامك ما أمر الله به تلتزم به، هذا هو الإسلام! هذا هو الإسلام! أن ما أمر الله عَزَّوَجَلَّ به تنقاد له، وما نهى الله عَزَّوَجَلَّ عنه تنقاد له بالابتعاد عنه، والبراءة من الشرك وأهله فهذا أيضًا من المهمات، ما يجوز لك أن تحب اليهودي وهو ليهوديته، ولا النصراني لنصرانيته، ولا الرافضي لرافضيته، ولا الباطني لباطنيته، ولا البوذي لبوذيته، لا يجوز، هذا قد يكون سبب من مكفرات الإنسان، إذا أحببت الله وأحببت رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وطبقت القرآن وعملت به لكن تحب اليهودي مع يهوديته، تحب دين اليهود، تحب دين النصارى هذا كفر، هذا كفر، كيف إنسان يحب دين اليهود والنصارى؟ أو يحب عباد القبور، أو يحب السحر والشعوذة، إذن لا بد من البراءة، قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال الله عَزَّوَجَلَّ في إبراهيم: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝٤﴾ [الممتحنة:٤]، لا بد لا بد من البراءة من المشركين ومن دين المشركين، وهذا هو المعنى: والبراءة من الشرك وأهله، البراءة من الكفر والبراءة من أهل الكفر، والمحبة لأهل الطاعة والولاء لأهل الطاعة، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة:٧١].

وإذا قيل لك: من نبيك؟ فقل: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، من ذرية إسماعيل ابن إبراهيم عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

واتفق النسابة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذرية عدنان، وعدنان ينتهي نسبه إلى إسماعيل، وإسماعيل ابن إبراهيم.

نبئه الله وهو ابن أربعين سنة، وقبضه الله وهو ابن ثلاث وستين سنة، دعا إلى الله عَزَّوَجَلَّ ثلاثة وعشرين سنة، توفي وعنده تسع نسوة، يقسم بينهن، تزوج إحدى عشرة امرأة، له الأبناء: عبد الله، والطاهر، وإبراهيم، ومن البنات: فاطمة، وزينب، وأم كلثوم، ورقية، كلهم ماتوا قبله إلا فاطمة عليها السلام تأخرت عنه ستة أشهر، وهو أفضل الأنبياء والمرسلين، أفضل الأنبياء والمرسلين، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» [رواه الترمذي (٣١٤٨)]، ومع ذلك مع أنه أفضل الخلق لا يجوز أن يدعى ولا يرجى ولا ينذر له ولا شيء، هو عبد لله، ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ﴾ [الإسراء:١] فسماه عبدًا، فهمتم يا إخوة؟ يعتبر أننا انتهينا من الأصول الثلاثة، لابد أن كل واحد يعرف الأصول الثلاثة هذي: الأول: معرفة العبد لربه عَزَّوَجَلَّ، الثاني: معرفة العبد بدينه الذي يتعبد الله به، الثالث: معرفة العبد لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أصل الدين وقاعدته

أصل الدين وقاعدته أمران.

أصول الدين كثيرة؛ منها أركان الإيمان الستة: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره.

وأركان الإسلام الخمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت.

لكن المراد هنا: الأصل العظيم الذي يقوم عليه قبول كل عمل، والذي يتبعه كل أصل.

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [الأنعام:١٥١].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

وكان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يسير في الأسواق ويقول: «**قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**». [أحمد(١٦٦٠٣)].

وقال: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**». [رواه البخاري (٢٥)، مسلم(٢٢)].

والأدلة على ذلك كثيرة من القرآن والسنة؛ فالأمر بعبادة الله هو دعوة كل رسول أرسله الله، وكل نبي نبأه الله، وهكذا من سلك سبيلهم من العلماء والدعاة؛ يأمرون بعبادة الله عَزَّوَجَلَّ وحده لا شريك له، لا في ربوبيته، ولا في ألوهيته، ولا في أسمائه وصفاته.

❑ التحريض على التوحيد:

يعني حث الناس على هذا التوحيد وعلى العمل به. والملاحظ للأدلة يجد أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كثيرًا ما يأمرهم بذلك: «**يا أيها الناس اعبدوا ربكم**»، و«**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ**». [رواه البخاري (١٤٩٦)، مسلم(١٩)].

و«**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ**». [رواه البخاري (٨)، ومسلم(١٦)].

ومن خالف في ذلك تُبيَّن له المخالفة؛ كما حلف عمر بأبيه، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**». [**رواه البخاري (٦٦٤٦)، ومسلم(١٦٤٦)**].

فأمر بعبادة الله لأمر القرآن والسنة بذلك، ثم حرِّض الناس، واذكر لهم فضيلة عبادة الله عَزَّوَجَلَّ وما فيها من المناقب، وما فيها من الخصال العظيمات، وأنها سبب لسعادة الدنيا والآخرة.

والتحريض يعني الحث؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ﴾ [**الأنفال:٦٥**]، أي حثهم على القتال، فكذلك حرضهم على التوحيد: تأمرهم بالخوف من الله، والتوكل على الله، والخشية من الله، والرغبة في الله، وطلب الرحمة من الله، والدعاء، وغير ذلك.

❑ الموالاة في الله:

وهذه هي المسألة الثالثة: أن تكون موالِيًا في الله عَزَّوَجَلَّ؛ حبك في الله، وبغضك في الله. ما الذي دعاك إلى محبة فلان وموالاة فلان؟ الحب في الله. وما الذي دعاك إلى البعد عن فلان؟ البغض في الله.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ [**المائدة:٥١**].

وقال تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۘ﴾ [**التوبة:٦٧**].

وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ [**التوبة:٧١**].

وأوثق عرى الإيمان: الحب في الله والبغض في الله. وهذه مسألة مهمة: أن يكون حبك لأهل التوحيد، وبغضك لأهل الشرك والتنديد.

قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠].

فكما أنهم لن يرضوا عنا حتى نتبع ملتهم، فنحن من باب أولى يجب أن نبغضهم لله، وإن كان أحدهم قريبًا في النسب، فهو عدو الله، وعدو الله عدو لنا، كما أن ولي الله حبيب لنا.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأنصار: «**لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ**». [رواه البخاري (٣٧٨٣)، مسلم (٧٥)].

والله عَزَّوَجَلَّ نهى أن نتخذ الكافرين أولياء، فقال: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ [آل عمران:٢٨].

وقال تعالى: ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١٤٤].

حتى إن الكافر لا يكون وليًّا لابنته المؤمنة، ولا لأخته المؤمنة، لا ولاية لكافر على مؤمن.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران:٢٨]، يعني ظاهرًا لا باطنًا؛ خشيت مكره، خشيت أذيته، خشيت تسلطه، فربما تكون في ظاهرك محدثًا له، مجالسًا له للحاجة إلى غير ذلك، لكن مع بغضك بقلبك له.

وانظروا إلى إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال تعالى: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف:٢٦-٢٧].

❑ **تكفير من ترك عبادة الله:**

وهذه المسألة الرابعة: أن تكفر من ترك عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أو عبد غير الله عَزَّوَجَلَّ.

فمثلًا الملاحدة الذين يقولون: «**لا إله، والحياة مادة**»، ولا يعبدون شيئًا؛ لا شمسًا، ولا قمرًا، ولا ملكًا، ولا جنيًّا، ولا شيئًا، هؤلاء كفار؛ لأنهم تركوا عبادة الله عَزَّوَجَلَّ.

وكذلك المشركون الذين عبدوا مع الله؛ كالنصارى عبدوا عيسى، واليهود عبدوا عزيرًا، وكثير من عباد الأصنام والأوثان، وعباد القبور، والملائكة، والجن، ونحو ذلك، فهؤلاء كفار، لا يجوز أن يحكم لهم بالإسلام، ولا يجوز أن يرضى عنهم.

قال الله عَزَّوَجَلَّ عنهم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [**الأعراف**:١٧٩].

فهذا الأصل الأول يتضمن أربعة أمور:

- الأمر بعبادة الله.
- التحريض على ذلك.
- الموالاة فيه.
- تكفير من تركه.

ولا يكفي أنك تعبد الله عَزَّوَجَلَّ حتى تضيف إلى ذلك ما تقدم: أن تكون آمرًا بعبادة الله بقدر المستطاع، وتحرض عليه بقدر المستطاع، وتحب أهله، وتكفر من تركه.

قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر:١-٣].

الإنذار عن الشرك بالله:

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله.

ونستطيع أن نرد هذين الأصلين إلى أصلين مختصرين:

- الأمر بعبادة الله.
- النهي عن الشرك بالله.

مع أن الأمر بعبادة الله يتضمن النهي عن الشرك بالله، والنهي عن الشرك بالله يتضمن الأمر بعبادة الله.

والإنذار هو التخويف؛ تخوف الناس من الشرك.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان:١٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَۖ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ﴾ [فاطر:٣٦].

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ الْإِشْرَاكُ بِاللهِ». [رواه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم(٨٧)].

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ». [أبو داود (٣٢٥١)، الترمذي(١٥٣٥)].

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ». [رواه مسلم (٨٢)].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ». [النسائي(١٠٧٤٥)].

فلا بد أن تنذر المشركين وتخوفهم بالله، وتخوفهم من الشرك بالله، وأنه سبب لضلال بعيد.

❑ التغليظ والمعاداة في الشرك:

والتغليظ في ذلك.

يعني التغليظ عليهم في إنكار الشرك، وفي إنكار البدعة والضلال. وهذا ليس على إطلاقه في حال الدعوة؛ فالداعية يبدأ بالرفق واللين، فإن لم يستجيبوا فلكل مقام مقال، لكن يغلظ التحذير من الشرك والتنديد وعبادة غير الله عَزَّوَجَلَّ.

والمعاداة فيه.

أي: معاداة المشركين.

قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:٧٣].

❑ **تكفير من فعل الشرك:**

وتكفير من فعله.

مع ما سيأتي أن الشرك ينقسم إلى قسمين: شرك أكبر، وشرك أصغر. وإنما يكفر صاحب الشرك الأكبر بعد إقامة الحجة الرسالية عليه، وأما الشرك الأصغر فصاحبه لا يكفر.

ثم إن التكفير والتفسيق والتبديع حق لأولياء الأمور من المسلمين، أي العلماء، فلا يتعجل الطالب في تكفير الناس؛ فقد لا تتوفر الشروط، أو لا تنتفي الموانع، وليس عنده القدرة والتمييز في هذا الباب.

فهذا هو الدين المبني على أصلين عظيمين:

- الأمر بعبادة الله.
- النهي عن الشرك بالله.

شروط «لا إله إلا الله»

(شروط لا إله إلا الله):

- الأول: العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا.
- الثاني: اليقين، وهو إكمال العلم بها المنافي للشك والريب.
- الثالث: الإخلاص المنافي للشرك.
- الرابع: الصدق المنافي للكذب.
- الخامس: المحبة لهذه الكلمة ولما دلت عليه، والسرور بذلك.
- السادس: الانقياد لحقوقها، وهي الأعمال الواجبة إخلاصًا لله وطلبًا لمرضاته.
- السابع: القبول المنافي للرد.

هذه سبعة شروط اشتهرت عند كثير من العلماء، وقد زاد بعضهم شرطًا ثامنًا، وهو الكفر بالطاغوت، ويأتي الكلام عليها، إن شاء الله، في الشرح واحدةً واحدة.

وقد قلت هنا في المنظومة الزعكرية:

شُرُوطُهَا سَبْعٌ وَزِدْهَا وَاحِدَةْ ... فَحَقِّقَنْهَا وَلَا تَكُنْ مُعَانِدَهْ
عِلْمٌ مَحَبَّةٌ يَقِينٌ وَالْقَبُولْ ... صِدْقٌ وَإِخْلَاصٌ فَحَقِّقْ مَا أَقُولْ
وَالْكُفْرُ بِالطَّاغُوتِ يَا سَعِيدُ ... وَالِانْقِيَادُ شَرْطُهَا الْأَكِيدُ

فـ«لا إله إلا الله» أولًا تتكون من ركنين أساسيين:

الأول: النفي.

الثاني: الإثبات.

فالنفي في قوله: «**لا إله**»، والإثبات في قوله: «**إلا الله**». وجمع بين النفي والإثبات؛ لأن النفي وحده عدم، والعدم ليس بشيء؛ فلو قلت: «**لا إله**» وسكتَّ، فهذا عدم، كقول الاشتراكية: «**لا إله**». ولو قلت: «**الله إله**»، فهذا اللفظ، وإن كان حقًّا، إلا أنه لا يمنع المشاركة؛ فأنت تقول: «**الله إله**»، والبوذي يقول: «**بوذا إله**»، والنصراني يقول: «**عيسى إله**». إذًا، بقولك: «**الله إله**» لا تحقق التوحيد.

فلا بد أن تقول: «**لا إله إلا الله**»؛ فـ «**لا إله**» نفي للألوهية عمن سوى الله عَزَّوَجَلَّ، و«**إلا الله**» إثبات للألوهية لله عَزَّوَجَلَّ.

ومعنى «**لا إله إلا الله**»: لا معبود بحق إلا الله، وغير الله إن عُبد فبباطل. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [**الحج**:٦٢].

❑ أخطاء في تفسير «لا إله إلا الله»:

وقد غلط الناس في تفسير «**لا إله إلا الله**» غلطًا عظيمًا:

- فبعضهم فسر «**لا إله إلا الله**» بأنها: لا خالق إلا الله، وهذا تفسير للربوبية، وليس تفسيرًا للألوهية.
- وبعضهم فسر «**لا إله إلا الله**» بأنها: لا موجود إلا الله، وهذا تفسير من أبطل الباطل! كيف «**لا موجود إلا الله**»، والجدار موجود، والإنسان موجود، والجبل موجود، والنهر موجود، والخنزير موجود، والكلب موجود؟! لكن هؤلاء

يعتقدون أن كل شيء هو الله، وهم أكفر من اليهود والنصارى! فعرفوا «**لا إله إلا الله**» بأنها: «**لا موجود إلا الله**». فهمتم فساد هذا التعريف؟! «**لا موجود إلا الله**»! هذا الكتاب موجود، وهذه الماسة موجودة، وذاك النعل موجود؛ فيلزم على هذا التعريف أن كل شيء هو الله! تعالى الله عن قولهم.

- ومنهم من عرفها بـ: لا معبود إلا الله، فقال: «**لا إله إلا الله**» معناها: «**لا معبود إلا الله**». وهذا صواب أم خطأ؟ خطأ! كيف «**لا معبود إلا الله**»، وهناك من يعبد الطواغيت، وهناك من يعبد الحجارة، وهناك من يعبد الكواكب، وهناك من يعبد الأحجار والأشجار والأنبياء والصالحين؟! فإذاً قولهم: «**لا معبود إلا الله**» غير مستقيم؛ لأنه يلزم أن كل ما عُبد هو الله! تعالى الله عن قولهم.

إذًا معنى «**لا إله إلا الله**»: لا معبود بحق إلا الله، فلا بد أن يؤتى بكلمة «**بحق**». مفهوم يا إخوة؟ لا بد أن تأتي حين تعريف «**لا إله إلا الله**» بكلمة «**بحق**»؛ فقولك: «**لا معبود**» إن لم تضف إليها «**بحق**» دخل فيها المعبودات التي تعبد من دون الله، لكن إذا قلت: «**بحق**» خرجت من هذا التعريف.

❑ فضل كلمة التوحيد:

وهي أفضل كلمة. قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَفْضَلُ الذِّكْرِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**». [**الترمذي (٣٣٨٣)، ابن ماجه(٣٨٠٠)**].

وأما من حيث الشواهد الأخرى، فإنها تعصم الدم، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**». [**رواه البخاري (٢٥)، مسلم(٢٢)**].

وأنها أعظم حسنة. ويذكر في هذا الباب حديث عبد الله بن عمرو: يؤتى برجل بسجلات مد البصر كلها سيئات، وبطاقة مكتوب فيها: «**لا إله إلا الله**»، فتوضع السجلات في كفة، و«**لا إله إلا الله**» في كفة، فتطيش بهن «**لا إله إلا الله**».

وكم فيها من الفضائل! قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ**». [رواه أبو داود(٣١١٦)].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**». [رواه مسلم (٢٦)].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**». [رواه مسلم (٩١٦)].

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأتي في الأسواق ويقول: «**قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**». [أحمد(١٦٦٠٣)].

وأول ما أمر الله عَزَّوَجَلَّ به هو «**لا إله إلا الله**»، فيدخل في الإسلام بـ «**لا إله إلا الله**». قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩]، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع ما هو فيه من العلم، أمره الله أن يعلم بـ «**لا إله إلا الله**»، والعلم بها يقتضي التحقيق لها على ما يأتي.

ثم هل يمكن أن يوجد من يقول «**لا إله إلا الله**» وهو كافر بـ «**لا إله إلا الله**»؟ يمكن، وهذا موجود بكثرة. الكفار الذين بعث فيهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات:٣٥]، أبوا أن يقولوها كبرًا. لماذا أبوا ذلك؟ قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥]؛ علموا

أن «**لا إله إلا الله**» تقتضي تكسير هبل واللات والعزى ومناة، وغير ذلك من الأنصاب والأصنام والأوثان.

بينما غلاة الصوفية والرافضة والباطنية يقولون: «**لا إله إلا الله**» في أذانهم، وفي ذكرهم، وفي مواليدهم المبتدعة، ومع ذلك شيدوا هذه الأوثان التي تعبد من دون الله عَزَّوَجَلَّ!

وحديث أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**أمرت بالكف عمن قال: لا إله إلا الله**» ليس بصحيح.

فالمنافقون كانوا يقولون: «**لا إله إلا الله**» بألسنتهم، ويعتقدون خلافها بقلوبهم، ومع ذلك قال الله لنبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:٧٣].

وهكذا الخوارج الذين قاتلهم علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كانوا يقولون: «**لا إله إلا الله**»، وكانوا يصومون ويصلون ويقرؤون القرآن، حتى قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَا تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ عِنْدَ صَلَاتِهِمْ، وَلَا صِيَامَكُمْ عِنْدَ صِيَامِهِمْ... يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**». [رواه البخاري (٦٩٣٣)، مسلم(١٠٦٤)].

وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**». [رواه البخاري (٣٣٤٤)، مسلم(١٠٦٤)].

❑ العمل بلا إله إلا الله:

فإذاً «**لا إله إلا الله**» لا بد من العمل بها ظاهرًا وباطنًا:

- فمن العمل بها ظاهرًا: الصلاة، والصيام، والحج، والذبح لله، والنذر لله.

- ومن العمل بها باطنًا: التوكل على الله، والخوف من الله، والاعتماد على الله، إلى غير ذلك.

فهذه الكلمة تحتاج إلى دراسة واسعة: دراسة لألفاظها، ودراسة لمعناها، ودراسة لشروطها، ودراسة لأركانها، ودراسة لما تتضمنه، ودراسة لما تستلزمه. فهذه الكلمة تستلزم الدخول في الإسلام من جميع جوانبه؛ لأنك إذا اعتقدت وأقررت أنه لا معبود بحق إلا الله، لزمك أن تصلي لله، وتصوم لله، وتحج لله، وتنذر لله، وتطوف لله، وتقاتل لله، وتطلب العلم لله، ولزمتك طاعة الإله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كل ما أمر، والانتهاء عما نهى عنه وزجر.

والطاعة تكون بالاستطاعة، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]، وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق:٧].

والنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مكث في مكة ـ فيما يذكر أهل السيرة ـ ثلاث سنوات لا يدعو إلى غيرها، ولم تكن هناك صلاة ولا صيام ـ بل يذكرون عشر سنوات ـ ولا شيء، «**قولوا: لا إله إلا الله**»؛ فمن قال: «**لا إله إلا الله**» دخل في الإسلام وكان موحدًا، ومن أبى أن يقولها كان مشركًا مندادًا.

حتى إنها نافعة لمن قالها بصدق، ولو قبل الغرغرة، تهدم ما قبلها؛ كما في حديث المسيب بن حزن أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ دخل على أبي طالب وهو في سياقة الموت، فقال: «**يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**». [رواه البخاري (١٣٦٠)، مسلم(٢٤)].

ودخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على غلام من اليهود وهو في سياقة الموت، فقال له: «**قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، فالتفت إلى أبيه، فقال له أبوه: «**أطع أبا القاسم**»، فقالها، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ**». [رواه البخاري(١٣٥٦)].

ومن عجيب شأنها أن الإنسان قد يقولها، ولا يراه أحد، ولا يسمعه أحد؛ لأنها كلمة لا تحتاج إلى تحريك الشفتين، ومثلها كلمة «**إن شاء الله**». قال أهل العلم: هذا من إخلاصها، أن الإنسان يستطيع أن يقول: «**لا إله إلا الله**»، والناس حوله هاهنا وهاهنا، ولا يرونه يحرك شفتيه، والله المستعان.

ولو قال: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له**»، فهذا هو أيضًا «**لا إله إلا الله**»، وإنما زيادة «**وحده**» للإثبات، وزيادة «**لا شريك له**» للنفي؛ توكيد الإثبات وتوكيد النفي. وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجمع بين قول: «**لا إله إلا الله**»، وزيادة: «**وحده لا شريك له**». وأما في التشهد فجاءت عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فلو قالها الإنسان فلا حرج، وإن لم يقلها فلا حرج، واكتفى بحديث ابن مسعود وما في بابه.

❑ **شرح شروط «لا إله إلا الله»:**

الأول: العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا.

والعلم ضد الجهل. بمعناها: أي أنه لا معبود بحق إلا الله. نفيًا: للألوهية عما سوى الله. وإثباتًا: للألوهية لله عَزَّوَجَلَّ.

الثاني: اليقين.

ضد الشك، وهو إكمال العلم بها المنافي للشك والريب. يعني تقولها وأنت مستيقن أنه لا إله إلا الله بلسان حالك ومقالك، فلا يكون عندك تشكك؛ لأن الشك ينافي اليقين، فالإنسان إذا تشكك في الشيء صار متأرجحًا.

الثالث: الإخلاص.

يعني تخلص قولها لله، لا تقولها لغير ذلك، المنافي للشرك؛ لأن الشرك يناقض «**لا إله إلا الله**» ويناقض الإخلاص. قال الله تعالى في الحديث القدسي: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**». [رواه مسلم (٢٩٨٥)].

الرابع: الصدق المنافي للكذب.

والمراد بالصدق فيها: الصدق في قولها، والصدق في اعتقادها.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون:١]، هذا صواب أم خطأ يا إخوة؟ أن محمدًا رسول الله، صواب أم خطأ؟ صواب، هو رسول الله! ومع ذلك ماذا قال الله لهم؟ ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١]. يخبر بأن المنافقين كاذبون في هذه المقولة، وليس المراد أن المقولة كاذبة، لكن المراد أنهم ما صدقوا في قولها، إنما تكلموا بها بألسنتهم. فإذاً لا بد من الصدق ظاهرًا وباطنًا.

والصدق أيضًا لا بد أن يكون معه انقياد، كما سيأتي، وإلا فإن بعض اليهود كان يقول لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أشهد أنك نبي**»، لكن هل نفعه هذا القول؟ لا؛ لأنه لم ينقد لأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأيضًا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦]، إلا أن هذه المعرفة لم يقارنها الانقياد؛ فلذلك لم تنفعهم، ولم ينتفعوا بها.

الخامس: المحبة؛ المحبة لهذه الكلمة ولما دلت عليه.

المنافية للبغض والكراهة، فإن الله عَزَّوَجَلَّ أخبر عن الكافرين وعن المنافقين أنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد:٩].

فكيف بإنسان يكره «**لا إله إلا الله**»، ويبغض «**لا إله إلا الله**» وما دلت عليه؟! هذا لا يكون مؤمنًا أبدًا، لا يكون مؤمنًا أبدًا إلا من أحب هذه الكلمة، وأحب ما دلت عليه وما دعت إليه؛ أحب التوحيد، ونابذ الشرك والتنديد.

والسرور بذلك؛ يعني يفرح الإنسان بكلمة التوحيد؛ لأنها نجاة له من النار، وعصمة من الخلود في النار، ودليل على علو هذا القائل.

يعني انظر، لو أنك الآن في مكان جاء فيه أهل الإسلام إلى أناس فيهم أهل الشرك؛ فمن قال: «**لا إله إلا الله**» عصم دمه، وعصم ماله، وعصم عرضه، وصار له ما للمسلمين، وعليه ما عليهم، إلا أن يأتي بما يناقضها. كيف لا يسر بهذه الكلمة؟! بل يسر، وتنشرح بها القلوب.

قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [الزمر:٢٢].

❑ **الانقياد لحقوق «لا إله إلا الله»:**

السادس: الانقياد لحقوقها.

يعني لا يكفي أنك تقول: «**لا إله إلا الله**»، وتترك الصلاة، أو تقول: «**لا إله إلا الله**»، وتأتي بما يناقضها، لا، بل لا بد أن تنقاد لحقوقها، وهي الأعمال الواجبة إخلاصًا لله، وطلبًا لمرضاته.

وقد يكون من حقوقها ما هو واجب، وتركه لا يؤدي إلى الكفر، وقد يكون من حقوقها ما هو واجب، وتركه يؤدي إلى الكفر، فكلٌّ بحسبه.

وأيضًا العمل بمقتضاها؛ فمن مقتضى «**لا إله إلا الله**» فعل الصلاة، والصيام، والحج، والذبح لله، والنذر لله.

هذا صواب أم خطأ يا إخوان؟ أن محمدًا رسول الله، صواب أم خطأ؟ صواب، هو رسول الله.

ومع ذلك ماذا قال الله لهم؟ ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١].

يخبر بأن المنافقين كاذبون في هذه المقولة، وليس المراد أن المقولة كاذبة، لكن المراد أنهم ما صدقوا في قولها، إنما تكلموا بها بألسنتهم.

فإذاً لا بد من الصدق ظاهرًا وباطنًا، والصدق أيضًا لا بد أن يكون معه انقياد، كما سيأتي، وإلا فإن بعض اليهود كان يقول لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أشهد أنك نبي**»، لكن هل نفعه هذا القول: «**أشهد أنك نبي**»؟ لا؛ لأنه لم ينقد لأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ [البقرة:١٤٦]، إلا أن هذه المعرفة لم يقارنها الانقياد؛ فلذلك لم تنفعهم، ولم ينتفعوا بها.

وأيضًا العمل بمقتضاها؛ فمن مقتضى «**لا إله إلا الله**» فعل كل الطاعات، ومن مقتضاها اجتناب كل المعاصي والسيئات.

والعجب ـ ونسأل الله أن يسلمنا ويعافينا ـ أن كثيرًا من شباب المسلمين يقول: «**أنا مبتلى بكذا وكذا، وما استطعت أن أخرج من هذا الشيء**».

لكن لو تأملنا الصحابة رضوان الله عليهم، أما كان أحدهم مبتلى بالخمر؟ ومبتلى بالزنا؟ ومبتلى بالقتل والظلم؟ ومبتلى بكثير من الأمور التي يتعاطاها أهل الإشراك؟

لكن بمجرد أن يقول أحدهم: «**لا إله إلا الله**» يتغير رأسًا على عقب، كما يقولون: ثلاثمائة وستين درجة، أو مئة وثمانين درجة، يعني يتغير تمامًا عما كان عليه.

ومما يدل على ذلك وعظيمه: لما حرم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخمر، كان أبو طلحة، وأبي بن كعب، وفلان، وفلان يشربون الخمر في بيت أبي طلحة، فقال أبو طلحة لأنس: انظر ماذا يقول هذا الداعي.

فخرج أنس يسمع، فقيل: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حرم الخمر.

فقال أبو طلحة: يا أنس، خذ المسحاة، وقم إلى هذه الجرار فاكسرها. «**فَقُمْتُ إِلَى مَهْرَاسٍ لَنَا فَضَرَبْتُهَا بِأَسْفَلِهِ حَتَّى تَكَسَّرَتْ**». [رواه مسلم (١٩٨٠)].

الرجل قد شرب الخمر، ومع ذلك انقياد عظيم، ومبادرة إلى مرضاة الله عَزَّوَجَلَّ، وما عندهم تسويف كحالنا الآن.

أما الآن، فيقول أحدهم: دخلت في السلفية، وتبت إلى الله عَزَّوَجَلَّ، لكن ما استطعت أن أترك التدخين!

كيف ما تستطيع؟! الناس تركوا الخمر.

أو يقول آخر: والله أنا مبتلى بالنظر إلى الصور.

كيف مبتلى بالنظر إلى الصور؟! الناس تركوا النساء وهن بين أيديهم، تؤاتيه إلى ما أراد.

فعناق تقول له: يا مرثد.

قال: يا عناق، إن الله حرم الزنا، إن الله حرم الزنا.

بل إن جنيًّا من الجن، حين دعته صاحبته إلى ما كان يتعاطاه قبل الإسلام، قال: أما شعرت أن رسولًا قد بعث، وأنه حرم، هذا هو حقيقة الانقياد لـ«**لا إله إلا الله**»: أن الإنسان يترك ما كان يتعاطاه قبل الاستقامة من المعاصي والسيئات، ويتوب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ويصلح ظاهرًا وباطنًا.

وإن ألمَّ بشيء بادر بالتوبة والإنابة، وجاهد نفسه، أما أن يقول: «**أنا ما أستطيع، أنا ما استطعت**»، فبعضهم ربما ابتلي بالعادة السرية، وعمره وهو مبتلى بها، فهذا

سفه، وقلة عقل، وقلة دين، وقلة استقامة، وقلة مراقبة، وقلة خوف من الله، وقلة ورع، إلى غير ذلك.

فالإنسان قد يبتلى، لكن أن يستمر في شره دهره، فالله المستعان، هذه والله مصيبة حلت بشباب المسلمين، نسأل الله السلامة.

فلا بد من الانقياد لحقوقها، أنت مسلم، استسلم لله بالتوحيد، وانقد له بالطاعة.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البقرة:٢٠٨].

ما الفرق بيننا وبينهم؟ ما الفرق؟ إلا أنهم رجال سمعوا ما أنزل الله فاستقاموا عليه، ونحن أحدنا كحال العامة؛ إذا قلت له: اترك التلفزيون، قال: أيش البديل؟ اترك القات، قال: أيش البديل؟ اترك الأغاني، قال: أيش البديل؟

يا أخي، ما أوجب الله أن يؤتى لك ببديل، أوجب الله أن تطيعه وتنقاد له ظاهرًا وباطنًا، سواء كان هناك بديل أو لم يكن، هذا هو الدين.

اترك كذا، اترك.

بنو إسرائيل لما أمرهم الله بقتل أنفسهم، كان قتل أنفسهم في ذلك الوقت دينًا، من تأخر عنه أثم، ومن بادر إليه أجر، وقبلت توبته.

فالدين هو الاستسلام لله ظاهرًا وباطنًا.

السابع: القبول، المنافي للرد.

(**السابع: القبول**) لهذه الكلمة ولما دلت عليه، (**المنافي للرد**)، يعني ما أمرك الله به؟ ﴿سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥].

هذا تعليقة مختصرة على هذه الأمور في أولها، وسيأتي شرح مكتمل لبيان معانيها مع أدلتها في موطنه، إن شاء الله.

قال: (**أدلة هذه الشروط**) أي: أدلة شروط «**لا إله إلا الله**»، وقد تقدم الكلام عنها في درس سابق، لكن هذه تتمة من المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

من كتاب الله تعالى، ومن سنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لأن أي مسألة لا تقوم على دليل من الكتاب أو السنة تكون ضعيفة، وربط الناس بأدلة الكتاب والسنة يزيدهم قوةً وإيمانًا وعلمًا.

ثم أيضًا ردٌّ على أهل البدع؛ لأن أهل البدع قد لا يعجبهم مثل هذه التقسيمات وهذه المعاني البديعة، فيقال لهم: هذه التقسيمات، وهذه الشروط، وهذه الأقوال مأخوذة من كلام ربنا، وسنة نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والأدلة ثلاثة عند أهل السنة:

- الكتاب.
- والسنة.
- والإجماع.

وهناك أدلة مختلف فيها، مثل: القياس، والاستصحاب، والبراءة.

أما الكتاب، فقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [**الأعراف**:٣].

وأما السنة، فقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [**الحشر**:٧].

وأما الإجماع، فقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

ذكروا أن محمد بن إدريس الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قرأ القرآن ثلاث مرات، يمر عليه يبحث عن دليل للإجماع، حتى وقف على هذه الآية، والدليل: ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النساء:١١٥]، فمن خالف المؤمنين جميعًا فقد خالف الإجماع، وخالف الدين. والإجماع المنضبط هو إجماع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ.

دليل العلم قول الله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩])

أي: دليل الشرط الأول، وهو العلم.

فبدأ بالعلم قبل القول والعمل. فاعلم يا محمد، ويا من دخل في هذا الدين، أنه لا إله إلا الله، ثم قال: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد:١٩]، فالقول: «**لا إله إلا الله**»، والعمل: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾، فإذن قبل أن تقول اعلم، وقبل أن تعمل اعلم.

وقوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦]).

﴿يَعۡلَمُونَ﴾ **معناها:** ويعملون بمقتضاها، ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ﴾، أخبر بالحق وهو يعلم ما أخبر به؛ أي: بـ«**لا إله إلا الله**»، وهم يعلمون بقلوبهم ما نطقوا به بألسنتهم.

ومن السنة الحديث الثابت في الصحيح عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ». [رواه مسلم (٢٦)].

والشاهد: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»: أي: يعلم معناها، ويعمل بمقتضاها، وينقاد لها، دخل الجنة.

والأدلة أكثر من هذا، ولكن المصنف اكتفى بهذين الدليلين العظيمين الجليلين؛ أولًا للاختصار، وثانيًا لسهولة حفظهما.

وإلا فإن الله عَزَّوَجَلَّ أنزل على نبيه قبل كل شيء العلم: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق:١]، أمره بالقراءة.

وهكذا لا يستقيم إنسان على الدعوة إلا أن يكون قد قرأ، ولا يفيد إلا أن يأتي بالأدلة من القرآن والسنة، ويكون عالمًا عاملًا.

❑ دليل شرط اليقين:

ودليل اليقين قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥]، فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا؛ أي: لم يشكوا، فأما المرتاب فهو من المنافقين).

فالدين مبني على الثبات واليقين في جميع الشؤون، حتى في شأن الطهارة، ولا يزول اليقين بالشك؛ لا في الطهارة، ولا في الطلاق، ولا في العتاق، ولا في غير ذلك.

وأمر التوحيد لا بد أن يكون الإنسان فيه مستيقنًا، كما سيأتي الحديث معنا، فما يكون عندك تشكك: أين الله؟ في السماء، باليقين. ما معنى «**لا إله إلا الله**»؟ لا معبود بحق إلا الله، باليقين، ما هناك أدنى تشكك. فالعقيدة مبناها على اليقين، والتصديق، والجزم.

وأما المرتاب، فانظر في القبر: «**هاه، هاه، لا أدري**»، لماذا لا يدري؟ لأنه كان متشككًا مرتابًا، والمؤمن كان متثبتًا محققًا.

يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: حقًا ظاهرًا وباطنًا، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾؛ آمنوا بالله ربًا، وأثبتوا ما له من الأسماء والصفات، وحققوا الإيمان بالربوبية، والانقياد بالألوهية.

﴿وَرَسُولِهِۦ﴾؛ تصديقًا به، وأنه رسول الله إلى الناس كافة، وأنه آخر الرسل، ويكون الإيمان به بطاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، والانتهاء عما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله عَزَّوَجَلَّ إلا بما شرع.

ثم ﴿لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾؛ لم يشكوا في هذا الإيمان، لم يقع فيهم ريب. ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾ [البقرة:٢]؛ أي: لا شك فيه.

﴿وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ﴾؛ مع عدم شكهم، ومع وفور يقينهم، جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم؛ لإعلاء الحق وإظهاره.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥] في قولهم وفعلهم، وهم الذين أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ أن نكون معهم بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩].

ولأن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، كما في حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ...**». [**رواه البخاري** (٦٠٩٤)، **مسلم**(٢٦٠٧)]. وجاء في خطبة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا، إذن المرتاب غير مؤمن، والشاك غير مؤمن.

فلو سألت رجلًا: أتؤمن أن محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول الله؟ فقال: قد يكون رسول الله، وقد يكون غير رسول الله، فهذا كافر.

أو قلت له: أتشهد أن محمدًا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم النبيين؟ فقال: أؤمن أنه رسول الله، لكن خاتم النبيين قد يكون وقد لا يكون، فهذا كافر.

ومثله لو قيل له: الله على العرش؟ فقال: قد يكون وقد لا يكون، فهذا كافر؛ لأنه متشكك في دينه، متشكك في ثوابت الإيمان.

ولو قيل له: القرآن كلام الله، أم مخلوق؟ فقال: ما أدري، فهذا متشكك، كافر.

وبهذه الفتوى أفتى غير واحد من المتقدمين والمتأخرين، فلا بد من اليقين.

أي: لم يشكوا، فأما المرتاب فهو من المنافقين؛ لأن الريب إنما يقع في حال التشكك في الخبر، والتشكك في الخبر يصدر عن عدم تصديق المخبر، فتشككهم صادر عن طعنهم في الله، وطعنهم في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعدم التصديق، وعدم الاستيقان، وعدم القبول.

والتشكك أيضًا يقع بما في قلوبهم من الأخلاط، أخلاط تخالف الكتاب والسنة؛ فلذلك أدت بهم إلى التشكك.

ومن السنة: الحديث الثابت في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ». [رواه مسلم (٢٧)]. وفي رواية: **«لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا فَيُحْجَبُ عَنِ الْجَنَّةِ». [رواه مسلم(٢٧)].**

والحديث أخرجه مسلم، وفيه قصة؛ وذلك أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في غزوة تبوك، فأصاب الناس مجاعة، فأتوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال بعضهم: يا رسول الله، لو نحرنا الإبل.

فقال عمر: يا رسول الله، لو نحروا الإبل قلَّ الظهر.

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وَلَكِنِ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ». [رواه مسلم(٢٧)].**

فجمعوا أزوادهم حتى كان كمبرك العنز؛ يعني شيئًا يسيرًا، فدعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه بالبركة، ثم قال: **«خُذُوا»**، فملؤوا كل وعاء كان في المخيم، وأكلوا حتى شبعوا، وفضلت فضلة.

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ذلك: **«أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ». [رواه مسلم(٢٧)].**

أي: بهذا القيد، لو لقيه وفيه شك، ما أغنى عنه هذا القول. **«إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»**.

فهذا وعد من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمستيقنين بدخول الجنة.

والاستيقان سبب للإمامة، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤]. بسبب يقينهم وثباتهم كانوا أئمة.

وانظر إلى المتخبطين الآن في صنوف الحزبية، وفي صنوف البدع، بسبب الشك، ما عنده ثبات على السنة، يتشكك في طريق السلف رضوان الله عليهم.

وإلا فهذا الطريق من عرفه حق المعرفة، وثبت عليه، لو ينشر بالمنشار ما تزحزح عنه؛ لأنه حقٌ حق، في شدة ورخاء، وفي سراء وضراء، وفي قلة وكثرة، وفي البر والبحر، وفي جميع الأوقات والأزمان والأماكن.

ولذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَانَ يُؤْتَى بِالرَّجُلِ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَيُنْشَرُ بِالْمِنْشَارِ... مَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ**». [رواه البخاري(٦٩٤٣)]؛ لعظم ثباته، ولعظم يقينه.

بينما المتشكك يعيش مترددًا بين الحق والباطل، وبين الهدى والضلال، وبين النور والظلمة.

ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وصف المنافق: «**كَالشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ**». [رواه مسلم (٧٧٨٤)]، تفيء إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة.

بينما المؤمن مع المؤمنين، على الحق.

فلا بد من الاستيقان، ولا بد من الرضا، ولا بد من القناعة التامة بهذا الدين، قناعة لا تتزحزح، وإن رأيت الناس يتدفقون تدفقًا إلى البدعة والضلالة.

انظر إلى ذلك الرجل الثابت في آخر الزمان، يعني أغلب الناس الذين حوله اتبعوا الدجال، ويؤتى به، وتضرب له الشبه، حتى بلغ الأمر أن يقطع بالسيف إلى جزلتين، ويدخل الدجال بين الجزلتين، ثم يقول: قم، فيقوم.

يعني هذه أمور تجعل ضعيف الإيمان يؤمن بالدجال، وما آمن كثير منهم بالدجال إلا بسبب الخبز الذي معه، والمطر الذي ينزله، والجنة والنار التي جعلها الله فتنة معه.

وهذا الرجل يقول: «**ما ازددت بك إلا بصيرة، أنك الأعور الكذاب**». [رواه مسلم (٢٩٣٨)].

ما السبب؟

اليقين الذي هو عليه، بصيرة بأنه الأعور الكذاب.

ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شأن المؤمن: «**وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**». [رواه البخاري (١٦)، ومسلم(٤٣)].

يكره أن يقذف في النار، والله المستعان.

❑ اليقين سبب لدخول الجنة:

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا، من حديث طويل: «مَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ». [رواه مسلم (٣١)].

هذه بشرى من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرسل بها أبا هريرة: من لقيت من المسلمين يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ـ ولكن ذكر الشهادة لله بالوحدانية

والألوهية، ويدخل فيها الشهادة لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرسالة ـ «**مستيقنًا**» غير شاك، «**بها قلبه**»؛ لأن اليقين بالقلب، «**فبشره بالجنة**».

والقصة فيها أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل حائطًا من حوائط الأنصار، فأعطى أبا هريرة نعليه، فقال: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**». [رواه مسلم (٣١)].

فخرج، فلقي عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: أين تريد يا أبا هريرة؟

قال: أرسلني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنعليه هاتين ـ يعني من أجل أن يصدق في نقله وخبره ـ فقال: أخبر من لقيت وراء هذا الحائط أن من شهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه دخل الجنة.

فضربه عمر حتى جلس لأسته، ثم أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: يا رسول الله، أمرتني أن أخرج وأقول للناس، فذكر الحديث، ثم لقيت عمر بن الخطاب ففعل بي.

فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لِمَ يَا عُمَرُ؟**».

قال: خشيت أن يتكلوا يا رسول الله.

فأخذ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقول عمر؛ حتى لا يتكل الناس.

❑ **دليل شرط الإخلاص:**

ودليل الإخلاص قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣].

بل الآية التي عندنا في سورة البينة واضحة، قريبة، يحفظها الصغير والكبير، قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥].

وقال تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:٢].

وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

وكم هي الآيات والأحاديث الدالة على الإخلاص!.

فالتوحيد، وكلمة التوحيد، أعظم العبادات، فإذا كانت بقية العبادات لا تقبل إلا بالإخلاص والمتابعة، فمن باب أولى التوحيد، فلا بد فيه من الإخلاص.

ما الذي حمله على قول: «**لا إله إلا الله**»؟ الإخلاص لله في هذه الكلمة العظيمة، القصيرة في مبناها.

فقوله: (﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾) يعني أن الله لا يقبل من الدين إلا ما كان خالصًا عن كل شائبة؛ عن الرياء، وعن العجب، وعن الحظوظ النفسية، وعن الهوى.

الرجل يقاتل حمية، ويقاتل شجاعة، ويقاتل رياءً، أي ذلك في سبيل الله؟

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**». [رواه البخاري (٢٨١٠)، مسلم(١٩٠٤)].

مع أن الذي يقاتل شجاعة قد ينصر الدين، والذي يقاتل حمية قد ينصر الدين، وإن الله لينصر هذا الدين بالرجل الفاجر، ولكن مع ذلك لا يقبل العمل إلا ممن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، مخلصًا لله عَزَّوَجَلَّ.

وهنا يقول: (﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾) أي: معاشر المكلفين، (﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾) بالتوحيد، (﴿مُخۡلِصِينَ﴾)؛ حال كونهم مخلصين لله، (﴿لَهُ ٱلدِّينَ﴾) مفردين له بالعبادة، (﴿حُنَفَآءَ﴾)؛ أي: مائلين عن الشرك، مقرين بالتوحيد، ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

❑ **فضل الإخلاص في كلمة التوحيد:**

ومن السنة الحديث الثابت في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ». [رواه البخاري(٩٩)].

وفيه قصة؛ أن أبا هريرة قال: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك؟

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَلَّا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ. أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ**». [رواه البخاري(٩٩)].

فهذا حديث عظيم سأل عنه حافظ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من أسعد الناس ـ أي يوم القيامة ـ بشفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

«مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ».

وهذا يظهر في حديث صاحب البطاقة، فيؤتى بتسعة وتسعين سجلًا، كل سجل مد البصر، ويؤتى ببطاقة فيها: «لا إله إلا الله»، فتطيش بهن «لا إله إلا الله». [الترمذي (٢٦٣٩)، أحمد(٦٩٩٤)].

وهذا دليل على عظم هذه الكلمة، وعلى الإخلاص فيها.

وفي الصحيح عن عتبان بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ». [أخرجه البخاري برقم (٤٢٥) وجاء عند مسلم برقم (٣٣)].

إنَّ الله حرَّم على النار تحريمَ خلود أو تحريمَ دخول، ويُحمَل ذلك على المعنيين.

لكنَّ من صدق وأخلص في قول: لا إله إلا الله، والعمل بمقتضاها، يُرجى أن يكون التحريم في حقه تحريمَ دخول، فيدخله الله الجنة دخولًا أوليًّا.

وإن كان من أهل الذنوب والمعاصي، فهو تحت المشيئة؛ فيحرِّمه الله على النار تحريمَ خلود.

والدلالة من الحديث: تعين الصدق في قول: لا إله إلا الله، ولا يكون ذلك إلا بالنطق بها مع اعتقادها، وعدم الكذب في حال قولها، كما هو حال المنافقين، قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون:١]

فأخبر الله عن كذب المنافقين، مع أن كلمتهم كانت صوابًا؛ لأنهم لم يصدقوا بقلوبهم، والله المستعان.

وللنسائي في «اليوم والليلة» من حديث رجلين من الصحابة، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن قال: لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، لهُ الملكُ ولهُ الحمدُ وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ مخلِصًا بها قلبُهُ، يُصَدِّقُ بها لسانَهُ، إلا فَتَقَ اللهُ لها السماءَ فتقًا حتى ينظرَ إلى قائلِها مِن أهلِ الأرضِ، وحَقٌّ لعبدٍ نظرَ اللهُ إليهِ أنْ يُعطِيَهُ سؤالَهُ». [أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة برقم (٢٨) وفي «الكبرى» (٩٧٧٢)].

وساق هذا الحديث أيضًا؛ لبيان فضيلة **لا إله إلا الله**، كلمةِ التوحيد؛ فإنه يلزم في قولها الإخلاص، ويلزم في قولها الصدق، كما هو معلوم من شروط: **"لا إله إلا الله"**.

وقد تقدم الإشارة إليها والبيان لها.

وهي كلمة عظيمة، فمهما سطرنا في بيان فضلها ومنزلتها، نبقى في عجز عن إعطائها حقها؛ فهي كلمة التوحيد، وهي العبادة، وهي كلمة التقوى، والعروة الوثقى، وكلمة الإخلاص، إلى غير ذلك من الأسماء العظيمة والمعاني الكريمة.

بل إن القرآن بيانٌ لهذه الكلمة، والسنة بيانٌ لهذه الكلمة؛ لأن أعمال العباد قائمة على الفعل والترك، وهذا مبناه على إخلاص العمل لله، والانقياد له، والقبول، والتقرب إليه.

وأُرسلت الرسل لتحقيقها، كما تقدم، قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، محققين لـ **لا إله إلا الله**، منقادين لها.

❑ **دليل شرط الصدق:**

ودليل الصدق قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت:٢-٣].

يخبر الله عَزَّوَجَلَّ عن الابتلاء الحاصل للناس بسبب استقامتهم، فلا بد من تمحيص حتى يعلم الله عَزَّوَجَلَّ الصادق والثابت على دينه من المتزحزح، الذي ربما ينحرف بسبب بعض الفتن، وبعض الفقر، وبعض الحاجة.

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾؛ يعني يكتفى بقولهم، ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ﴾ من الأمم السابقة، ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ في إيمانهم، وفي اعتقادهم، وفي أفعالهم، ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت:٢-٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨].

وهذا وصف أهل النفاق في سورة البقرة، فإن أوائلها تضمنت آيات في وصف أهل الإيمان، ثم آيات في وصف الكافرين، ثم آيات في وصف أهل النفاق.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾، (من) للتبعيض، ﴿مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ قولًا، ﴿وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ لفظًا، ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ في اعتقادهم، ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بإظهارهم الإيمان وإبطانهم الكفر، ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾؛ يعني لا يشعرون أن الخديعة عائدة إليهم؛ لتعمق الغفلة في قلوبهم.

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾؛ مرض الشك والريب والتكذيب، ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾؛ ازدادوا إعراضًا إلى إعراضهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة:١٠]، وإن كان كذبهم بالفعل، أو بالاعتقاد، أو بالقول، فهو لفظ عام.

ومن السنة ما ثبت في الصحيحين عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ». [رواه البخاري (١٢٨)، مسلم (٣٢)].

وهذا هو الشاهد: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»؛ أي يقر ويعترف أنه لا معبود بحق إلا الله، «**وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»؛ عبده رد على الغلاة، ورسوله رد على الجفاة، «**صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ**»؛ أي مستيقنًا بالقلب، وصادقًا في القول والفعل، «**إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ**».

ومن أظهر صفات المنافقين الكذب، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾

[المنافقون:١]، فمن أشهر علاماتهم الكذب، حتى وإن قالوا الصدق قولًا، إلا أنهم يخالفونه اعتقادًا وفعلًا.

ولذلك سمى الله الكافرين كاذبين، قال تعالى: ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران:٦١]. والمراد بها هنا أهل الكفر الأكبر المخرج من الملة، فهم كاذبون في اعتقاداتهم، وكاذبون في أقوالهم، وكاذبون في أفعالهم.

بينما سمى أهل الإيمان الصادقين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة:١١٩].

ليس المراد صدق القول فقط، فكم من كافر لا يكذب في قوله، لكنه كاذب في فعله واعتقاده!.

أما قال أبو سفيان حين كان في زمن الكفر: "لولا أن يؤثر علي الكذب لكذبت عليه"؟

كانوا يتحرجون من الكذب على أنه عيب، لا على أنه ديانة، فكثير من الناس يتحرجون من بعض الذنوب على أنها عيب، وأما من باب الديانة فيخالفون، فقد تجد بعض الكفار لا يشرب الخمر، ولا يعاقر الزنا، لكن ليس تعبدًا لله عَزَّوَجَلَّ، أو صدقًا معه، وإنما من باب أنه يرى أنه لا منفعة له فيه.

❑ **دليل شرط المحبة:**

ودليل المحبة قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة:١٦٥].

أي: ومن شروط «**لا إله إلا الله**» المحبة، ودليلها: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة:١٦٥].

فالله عَزَّوَجَلَّ يعبد بالمحبة، والتعظيم، والإجلال، ويحب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ويحب المؤمنين، والمتقين، والصادقين، والصابرين، والخاشعين، والذين يقاتلون في سبيله صفًا كأنهم بنيان مرصوص.

فيقول: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾، (**من**) للتبعيض، ﴿مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾؛ أي نظراء وأمثالًا يعبدونهم بعبادات، ومنها عبادة المحبة، ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ﴾؛ أي يحبون آلهتهم كحبهم لله، فشركوا بين آلهتهم وبين الله في المحبة، فكفروا من هذه الناحية.

وقيل: المعنى يحبون آلهتهم كما يحب المؤمنون الله، وعلى كلا المعنيين كفروا؛ إن أحبوا غير الله كحب الله كفروا، وإن أحبوا غير الله كحب المؤمنين لله كفروا، مفهوم يا إخوة؟

فعباد الأصنام كانوا يحبون آلهتهم حب عبادة، حب سر، يعني يحبونها لاعتقادهم أنها تنفع وتضر، وتدفع، وترفع، وتخفض، هذا هو حب العبادة.

وإلا فالمحبة الطبيعية جائزة، أن يحب الإنسان ولده، أو يحب زوجته، أو يحب صاحبه، لكنهم أحبوا ما يتقربون إليه حب السر، بحيث شاركوه في المحبة مع الله عَزَّوَجَلَّ، أو جعلوا محبة هذه الأصنام والأوثان في قلوبهم أكثر من محبة الله عَزَّوَجَلَّ.

ولذلك انظر كيف كانوا يغضبون إذا تكلم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في آلهتهم، يغضبون!

بل مع اعترافهم أن الله هو الخالق، الرازق، المالك، المدبر، وأنه ربهم في الجملة، كانوا إذا سبت آلهتهم سبوا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

ولذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ﴾ [الأنعام:١٠٨].

وهذا دليل على عظيم تعظيمهم لهذه الأصنام والأوثان، وإلا فهو نفسه يعتقد أن الله ربه، وأن الله خالقه، وأن الله رازقه، وأن هذه الأصنام إنما تعبد لتقربهم إلى الله، ولتشفع لهم عند الله، لكن لعظيم حبهم لها كانوا إذا سبت سبوا الله، وإذا نُقِّصت تنقصوا الله.

وهذا دليل على أنهم وقعوا في شرك عظيم، شرك المحبة، الذي دعاهم إلى تقديم ما يحب الشيطان على ما يحب الله، وتقديم عبادة غير الله على عبادة الله.

وجاء عند الدرامي : عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَوْلَايَ: أَنَّ أَهْلَهُ بَعَثُوا مَعَهُ بِقَدَحٍ فِيهِ زُبْدٌ وَلَبَنٌ إِلَى آلِهَتِهِمْ، قالَ: فَمَنَعَنِي أَنْ آكُلَ الزُّبْدَ لِمَخَافَتِهَا، قَالَ: " فَجَاءَ كَلْبٌ فَأَكَلَ الزُّبْدَ وَشَرِبَ اللَّبَنَ، ثُمَّ بَالَ عَلَى الصَّنَمِ وَهُوَ: إِسَافٌ،

وَنَائِلَةُ " قَالَ هَارُونُ كَانَ الرَّجُلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا سَافَرَ، حَمَلَ مَعَهُ أَرْبَعَةَ أَحْجَارٍ ثَلَاثَةٌ لِقِدْرِهِ وَالرَّابِعُ يَعْبُدُهُ، وَيُرَبِّي كَلْبَهُ، وَيَقْتُلُ وَلَدَهُ.

يعني تصور، في زمن الشدة، والمجاعة، والحاجة، وأحدهم يأخذ الزبد فيرسله إلى الصنم، ويأخذ السمن فيرسله إلى الصنم، ويأخذ اللبن فيرسله إلى الصنم، ويأخذ الشاة أو البعير فيذبحها للصنم!.

يا إخوة، بعض المسلمين الآن لا يذبح أضحية، ولو تكلف لوجد، مع أن الأضحية مستحبة، لكن ما الذي جعل هؤلاء يقدمون هذه الأشياء النفيسة للأصنام والأوثان؟

وربما رحلوا المسافات الطويلة، ويبقى معه يمسحه، ويطيبه، ويبخره، يعني دليل على محبة، وتعظيم، وإجلال لهذه الأصنام، نعوذ بالله من الخذلان.

فهم فعلوا ذلك لأنهم يحبون الأصنام كحب الله.

تصور هذا الحب! تصور في نفسك، إذا كان حبهم للصنم كحبك لله وأنت مؤمن موحد، فهذا دليل على أنهم يبجلونها، وصرفوا لها من أعظم أنواع العبادات التي ذكرها الله عَزَّوَجَلَّ، فإن الله معبود بالمحبة والتعظيم، كما هو معبود بالخوف والرجاء.

ثم من باب الفائدة، الناس في هذا الباب أقسام:

الأول: عبدوا الله بالمحبة وحدها، وهؤلاء غلاة الصوفية ومن إليهم، حتى قالت نازك الملائكة: "عبدتك للحب لا رغبة ولا رهبة". بئس ما يئفكون.

وهذا قول زندقة، يعني تتهم الرسل صلوات الله عليهم بالإفك؛ لأن الرسل صلوات الله عليهم عبدوا الله بالخوف والرجاء، وهي تقول: "لا رغبة فيما عندك، ولا رهبة مما عندك، وإنما عبادتي لك بالمحبة وحدها".

وربما بالغ بعضهم أيضًا، فقال: "اللهم إن كنت عبدتك خوفًا من نارك فأدخلني فيها".

مع أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يستعيذ بالله من النار، ويسأل الله الجنة.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

القسم الثاني: قوم عبدوا الله بالخوف وحده، وهؤلاء الخوارج ومن إليهم، تجد في رأس أحدهم مثل مبرك العنز، وأجسامهم شاحبة من طول الصيام والقيام، لكن ما عندهم رجاء في الله عَزَّوَجَلَّ، فالقنوط من روح الله، ومن رحمة الله، ضرره عظيم، وقد يؤدي إلى الكفر، والعياذ بالله.

فهؤلاء طرفا نقيض.

وأما أهل السنة: فإنهم يعبدون الله بالمحبة، وبالخوف، وبالرجاء، يعبدون الله بحبهم له، ويخافونه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ [آل عمران:١٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة:٤٠]، وكذلك يرجونه، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الكهف:١١٠].

قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة:١٦٥]؛ أي من أصحاب الأصنام لأصنامهم، أو من أصحاب الأصنام لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن محبة المؤمنين لله محبة خالصة.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ﴾ [المائدة:٥٤].

وهذا نداء من الله عَزَّوَجَلَّ للمؤمنين: ﴿مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ﴾، دليل على إثبات الردة، وأن الردة قد تقع بالقول، والفعل، والاعتقاد.

فالردة القولية: كسب الله، وسب رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

والردة الفعلية: كالذبح لغير الله عَزَّوَجَلَّ، كصنم، أو شجر، أو حجر، أو جني، أو غير ذلك.

والردة الاعتقادية: كالخوف من غير الله كخوف الله، أو محبة غير الله كمحبة الله، أو التوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، والاعتماد عليه.

﴿عَن دِينِهِۦ﴾ أي عن دين الإسلام، والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقول: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**» [رواه البخاري (٣٠١٧)].

﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤]، قيل: هذه الآية نزلت في أهل اليمن، وكان وقوعها بعد موت النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، أي وقوع أحداثها؛ فإن الناس ارتد أكثرهم، وثبت أهل اليمن، ودخلوا في دين الله أفواجًا، يقاتلون وينافحون عن دين الله.

﴿بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ﴾ يحبهم لعظيم استقامتهم؛ إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي، إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، إن الله يحب الصادقين، يحب المؤمنين؛ فأحبهم لعظيم صفاتهم. ﴿وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ لما هو عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من صفات الجلال والجمال والعظمة والكبرياء؛ إذ لا تستقيم عبادة بدون محبة، لا تستقيم عبادة بدون محبة! فلا بد من المحبة. وإذا كان الإيمان بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يكمل إلا بمحبته أكثر من نفسك، فما بالك بحب الله عَزَّوَجَلَّ؟! قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**» [رواه البخاري (١٥)، مسلم (٤٤)].

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي من صفاتهم أيضًا أنهم أذلة على المؤمنين؛ عندهم تواضع لأهل الإيمان، وسكينة، ورفق، حتى وإن هُضموا، لكن المؤمن له حق. ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ شدة وغلظة وسطوة على أهل الكفر. ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بألسنتهم، وأموالهم، وأفعالهم: «**جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ**» [أبو داود (٢٥٠٤)]، وهذا دليل على الإخلاص. ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ﴾ [المائدة:٥٤] يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. فهذه صفات عظيمة ذكرها الله عَزَّوَجَلَّ لهذه الثلة من المؤمنين، ومنها أنهم يحبون الله، وهذا هو الشاهد.

ومن السنة ما ثبت في الصحيح عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي الصحيحين، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ» [رواه البخاري (١٦)، مسلم (٤٣)].

فأثبت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث أن للإيمان حلاوة. وقد جاء في حديث العباس بن عبد المطلب عند مسلم أن للإيمان طعمًا: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا» [رواه مسلم (٣٤)]. وفي قصة هرقل: «كَذَلِكَ الْإِيمَانُ إِذَا خَالَطَتْ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ» [رواه البخاري (٧)، مسلم (١٧٧٣)].

فالإنسان يجد للإيمان لذة، وهذا من أسباب ثباته على الدين؛ وذلك أنه إذا عصى الله ضاق صدره ووجد القسوة والغفلة، بينما إذا استقام على دين الله انشرح صدره وزاد إيمانه ووجد حلاوة، وإن لم تكن حسية، إلا أنها معنوية، حلاوة في القلب. ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨].

وأكثر من يجد هذا حديث عهد بتوبة، أو حديث عهد بإسلام؛ لأن مع الأيام، ومع قسوة القلوب، وضعف الأعمال، وكثرة الذنوب والمعاصي، تضعف هذه الحلاوة في القلب. لكن عند الاستقامة بالتوبة الصحيحة التي تهدم ما قبلها، وعند الإسلام الذي يهدم ما قبله، يجد الإنسان لذة لا يمكن أن توجد؛ ولذلك يبقى

دهره وهو يبحث عن هذه اللذة: يستغفر، يدعو، يقرأ القرآن، بحثًا عما كان يجد، والله المستعان.

وهذه الثلاث ليست على الحصر، لكنها أهمها؛ فإن الأمور التي تزيد الإيمان، وتزيد اللذة والحلاوة، كثيرة، لكن هذه أهمها وأُسُّها وأساسها:

١. «**أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا**» يعني تقديم محبة الله عَزَّوَجَلَّ على كل محبة، وتقديم محبة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في المخلوقين على كل محبة في المخلوقين، ومحبة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تابعة لمحبة الله. وهنا قد قال: «**أن يكون الله ورسوله**»، وفي حديث عدي بن حاتم قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ**» [رواه مسلم (٨٧٠)] لذلك الرجل الذي قال: «**مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى**»؛ فيقال: ذاك موطن خطبة، والخطبة تحتاج إلى تفصيل وبيان.

٢. «**وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ**» وهذه أيضًا محبة في الله؛ لأن المحبة: محبة لله، ومحبة في الله، فالمحبة في الله هي بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

٣. «**وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**» دليل على محبته لهذا الدين العظيم؛ ولعلمه أن القذف في النار في الدنيا يؤدي به إلى الموت، بينما الردة تؤدي به إلى الخلود في نار جهنم، نسأل الله السلامة والعافية.

فنكون إلى الآن قد أخذنا عدة من شروط لا إله إلا الله: الأول العلم، والثاني اليقين، والثالث الإخلاص، والرابع الصدق، والخامس المحبة. وبقي معنا

شرطان ذكرهما المؤلف: الانقياد والقبول، وشرط ثامن لم يذكره المؤلف، وهو الكفر بالطاغوت، يأتِ إن شاء الله في الدرس الآتي، والحمد لله.

❑ **دليل الانقياد:**

قال: ودليل الانقياد ما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر:٥٤].

﴿وَأَنِيبُوٓاْ﴾: أي ارجعوا إلى ربكم، خالقكم، ومالككم، ورازقكم.

﴿وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾: استسلموا له بالتوحيد.

﴿مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾: الخزي في الدنيا، والقتل، والعذاب في الآخرة.

﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾: لا يكون لكم ناصر.

والشاهد من الآية قوله: ﴿وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾، وهو تمام الانقياد لله عَزَّوَجَلَّ. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البقرة:٢٠٨]، أي انقادوا لأمر الله ظاهرًا وباطنًا.

وقوله: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ [النساء:١٢٥].

يعني لا أحسن في الاستقامة والدين ممن أسلم، ممن انقاد لله عَزَّوَجَلَّ وهو محسن؛ حال كونه قد أحسن في قوله، وفصله (**وفعله**)، واعتقاده، فهو منقاد ظاهرًا وباطنًا.

وقوله: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان:٢٢].

ومن يستسلم لله وينقاد له، وهو محسن في قيله وفصله (**وفعله**) واعتقاده، فقد استمسك بالعروة الوثقى، وهي: «**لا إله إلا الله**».

أي بـ «لا إله إلا الله».

لأن كلمة «**لا إله إلا الله**» لها عدة معانٍ: هي كلمة الإخلاص، والعروة الوثقى، وكلمة التقوى، والمثل الأعلى، وكلمة التوحيد، والكلمة التي جعلها إبراهيم في عقبه لعلهم يرجعون.

(أي بـ «**لا إله إلا الله**») مما يدل على هذا المعنى أن عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رأى في المنام أنه ظل مستمسكًا بعروة حتى قام، عروة في السماء، ففُسرت له بموته على الإسلام، وبموته على «**لا إله إلا الله**».

وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

أقسم الله عَزَّوَجَلَّ بنفسه المقدسة أنه لا يتم إيمان عبد حتى يُحكِّم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع شأنه، فيما شجر بينهم. وتحكيم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكون بتحكيم سنته بعد أن قُبض، صلوات الله عليه، فيما شجر بينهم. وهذا عام، وليس فقط فيما يختلفون فيه في الأموال، لا، بل فيما شجر بينهم في الاعتقادات، في المسائل العلمية، في المسائل العملية، وكذلك في شؤون المسائل الدنيوية. فلا بد

من التحاكم إلى كتاب الله، وإلى سنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا يدل على تمام الانقياد.

﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾: تنشرح صدورهم بحكم الله وحكم رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويستسلمون لله عَزَّوَجَلَّ ظاهرًا وباطنًا.

ومن السنة قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ» [النووي في الأربعين (٤١)].

هذا حديث من طريق نعيم بن حماد الخزاعي، شيخ البخاري، وهو ضعيف، وهو حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. «**لا يؤمن أحدكم**»: أي لا يتم إيمان عبد حتى يكون هواه تبعًا لما جاء به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. الحديث ضعيف، ومعناه صحيح.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:٢٣].

﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [ص:٢٦]؛ لأن اتباع الهوى يمنع من الانقياد لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذا هو تمام الانقياد وغايته.

أن يكون هواك تبعًا لما جاء به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ تحب ما أحب، وتبغض ما أبغض.

❑ **دليل القبول:**

قال: ودليل القبول قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٢٤ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٢٥﴾ [الزخرف:٢٣-٢٥].

يعني القبول ضده الرد، وهؤلاء الكفار ردوا كلام الله وكلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما كان عليه آباؤهم.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ﴾ أي كما كذّب هؤلاء الذين بُعثت فيهم، ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير، في أمة أو في جماعة من نذير من رسول، ﴿إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ﴾: قال المستكبرون الذين نفروا عن كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ﴾: إنا وجدنا آباءنا على ملة وطريقة، ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾: أي مقلدون.

﴿قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ﴾ [الزخرف:٢٤]: يقول: لو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم؛ لأن دين الآباء كان فيه الشرك والتنديد، ودين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعيد عن ذلك. ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الزخرف:٢٤]: أبوا إلا الرد وعدم القبول، حتى مع وجود الدلائل الظاهرة.

قالوا: إنا بما أرسلتم به كافرون، سواء جئتم بأهدى أو جئتم بما هو دون، وهذا أعظم المعارضة لحكم الله وحكم رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وصاحبه يسمى بـ"المكابر"، هذا صاحبه يسمى بـ"المكابر"، لا ينجع معه علاج؛ لأنك كلما أتيته بحجة جاءك بردها، لا يريد القبول أصلًا! بينما الذي يبحث عن القبول إذا جئت له بحجة قال: ما شاء الله، جزاك الله خيرًا. لكن هذا تأتيه بحجة -حتى وإن لم يردها لك في المجلس- يذهب ويبحث عن أسباب لردها! وأي واحد يريد هذا سيجد، وربما يجره الشيطان إلى التشكك في القرآن، أو إلى التشكك في سنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أو إلى الشك فيما أجمع عليه الصحابة رضوان الله عليهم، إلى غير ذلك من مداخل الشيطان الكثيرة.

﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ﴾ [الزخرف:٢٥]: أي بسبب كفرهم وبغيهم وكبرهم. ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [الزخرف:٢٥]: أي بكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ٣٦﴾ [الصافات:٣٥-٣٦].

يعني لم يقع منهم القبول لما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ، وإنما الرد: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾، يقول لهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**» [أخرجه أحمد(١٦٦٠٣)]، فيقع منهم الكبر والعناد! وهذا دليل على أنهم عرفوا معنى "لا إله إلا الله".

لو أنهم ما فقهوا معنى "لا إله إلا الله" ومعنى التوحيد، للزم أن يُفقَّهوا، لكنهم عرفوا، وإنما منعهم من قولها الكبر!

يعني رأوا أن قول "لا إله إلا الله" يلزم منه نفي الألوهية عمن سوى الله، وهم معهم هبل واللات والعزى ومناة.. يعني عاشوا عليها وماتوا عليها، كيف الآن يتركونها؟! فاستكبروا عن قول الحق وعن قبوله.

وهذا هو كفر إبليس؛ إبليس كفر بالكبر، ليس معنى أن إبليس كان جاهلًا بالإسلام أو كان جاهلًا بالتوحيد.. كيف جاهل بالتوحيد وجاهل بالإسلام وهو قد عبد الله عَزَّوَجَلَّ حتى كان في الجنة؟! وإنما منعه الكبر، والعناد، والبغي: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤].

فهكذا كثير من الكفار يمنعهم الكبر عن التواضع لله بالتوحيد، والتواضع للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بالانقياد لسنته. بعضهم قال: كيف أتبع غلام عبد المطلب؟! يعني متكبر يرى أن ابن عبد المطلب عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ لا يستحق المتابعة والانقياد. وبعضهم منعه الكبر: كيف أكون أنا وبلال وصهيب وعمار في مرتبة واحدة وهم عبيدنا؟! وبعضهم منعه الكبر كذلك: كيف يكون مع الأسود أو يكون مع الأحمر أو يكون مع الفقير؟! فالكبر له مداخل على الناس.

﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونٖ﴾، أي من قولهم: أنترك آلهتنا لشاعر مجنون؟! محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ سموه شاعرًا، وكاهنًا، وساحرًا، ومجنونًا. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ٥٣﴾ [الذاريات:٥٢-٥٣].

فهذه دعواهم في رد الحق: أن من جاء بالحق عندهم مجنون، وساحر، وكاهن، وشاعر.. المهم تخبطوا في التهم التي يرمون بها رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، تخبط!

ما اتفقوا على تهمة؛ لأنهم قالوا "شاعر" ما استقامت، جاء الشعراء وسمعوا قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما رأوا شعرًا! قالوا "كاهن" ما استقامت، وجدوا أن الرجل بعيد عن الكهانة. قالوا "ساحر" ما استقامت، وجدوا أن الرجل بعيد عن السحر.

زعموا أنه تلقى العلم من غيره، وجدوا أن الرجل كان أميًا، قالوا: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا﴾ [الفرقان:٥]، كيف يكتب وهو ما يكتب؟! ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت:٤٨]، ولو كان الأمر إلى الكتابة لكان الذي اتهموه بأنه علَّم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الرسول! ما سيذهب مولى الحضرمي أو يذهب ورقة بن نوفل إلى تعليم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا، ثم محمد يدعي النبوة وهم ما يدعونها! لا، سيقولون: نحن أحق بك يا محمد، لا سيما في باب المراتب العالية، كل إنسان يحبها.

لكن عُلم أنهم كذبوا على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قولهم بأنه كتب أساطير الأولين، وقالوا: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥﴾ [الفرقان:٥]. اضطربوا! تارة "اكتتبها"، تارة "تُملى عليه"، تارة "كتبها له ابن الحضرمي"، تارة "شاعر"، تارة "كاهن"، تارة "ساحر"، تارة "كذاب".. ولا يستقيم!

إذا قيل لهم.. قال لهم: أتريدون.. أ تتهموني بالكذب؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبًا! هو نفسه يخاطبهم: أفتتهموني بالكذب؟ هل علمتم عليّ كذبًا؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبًا! حتى إنه قال لهم: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟**» قالوا: ما جربنا عليك كذبًا. قال: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ**

عَذَابٍ شَدِيدٍ» [أخرجه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم(٢٠٨)]، قالوا: تبًّا لك! ألهذا جمعتنا؟! كما قال أبو لهب.

فما استقامت لهم. ذهب أُنيس أخو أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتخبر أخبار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم رجع، فقال له أبو ذر: كيف رأيت الرجل؟ قال: والله إني من أشعر الناس، ورأيت أن كلامه لا يستقيم مع الشعر، ولا يستقيم مع السحر، وذكر أنه ليس بكذاب.. المهم من صفاته عُلم أنه كان صادقًا، لكن مع ذلك اضطربوا في اتهامه ونبذه، وما ضره ذلك.

❑ **مثل ما بعث به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الهدى والعلم :**

ومن السنة ما ثبت في الصحيح عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ غَيْثٍ كَثِيرٍ أَصَابَ أَرْضًا؛ فَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَىٰ إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً؛ فَذَٰلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَٰلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ» [أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم(٢٢٨٢)].

الحديث متفق عليه، وساقه المصنف لبيان وجوب القبول والانقياد لوحي الله وشرعه، وإلا كان الإنسان غير منتفع بما تقدم.

قوله "أبو موسى": هو عبد الله بن قيس الأشعري.

قوله "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم": أي القرآن والسنة.

"كمثل الغيث الكثير": وذلك لأن الغيث يحيي الأرض بعد موتها، والعلم تحيا به القلوب القاسية، وكذلك يذهب به الجهل الذي يسبب جفاف القلوب.

"أصاب أرضًا": يعني كما أن الغيث إذا نزل على الأرض تنوعت الأراضي التي ينزل عليها، كذلك العلم والإيمان إذا نزل تنوعت القلوب التي ينزل عليها.

"فكان منها طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير": وهذا مثل القلب الطيب، المؤمن، المنقاد، الموحد؛ فإنه إذا جاءه العلم أخذ به وعمل به، وجرّه ذلك إلى محاسن الأخلاق ومكارمها.

"وكان منها أجادب": أرض أجادب، يعني تمسك الماء، ينتفع به الناس، ولكنها لا تنتفع هي؛ وكذلك بعض الناس قد يطلب العلم ويتلقى العلم فينفع غيره ولا ينتفع هو.

"وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان": أرض قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ.

"فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به": فالذي فقه في دين الله كالأرض الطيبة وعمل بها، والذي فقه في دين الله ولم يعمل بها كمثل الأرض الأجادب، والذي لم يفقه دين الله ولم يعمل به كمثل الأرض القيعان.

"ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به": والشاهد قوله "ولم يقبل هدى الله" ولم ينقد له.

❑ **الكفر بالطاغوت شرط في صحة الكلمة :**

بقي شرط ثامن يذكره أهل العلم، ولم يذكره المصنف في هذا الموطن، وهو "**الكفر بالطاغوت**"، ودليله قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ [البقرة:٢٥٦].

وقول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ**» [أخرجه مسلم(٢٣)].

بهذا عُلم أنه لا يكفي الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ إلا مع الكفر بالطاغوت، وإلا فاليهود والنصارى في الجملة يؤمنون بالله، لكنهم لم يكفروا بالطاغوت، وكذلك كفار قريش يؤمنون بالله في ربوبيته، لكن لم يكفروا بالطاغوت: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦].

إذًا لا بد من الانقياد لله عَزَّوَجَلَّ ظاهرًا وباطنًا، ولا بد من الكفر بالطاغوت، ويسميها العلماء "التخلية قبل التحلية"، يعني أنك قبل أن تأتي بالإيمان لا بد أن يخلو قلبك من حب غير الله عَزَّوَجَلَّ ومن التعبد لغير الله عَزَّوَجَلَّ، فلا بد من الكفر بالطاغوت حتى يتم الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ.

فهذه ثمانية شروط ذكرها أهل العلم في هذا الموطن لبيان عظيم شأن هذه الكلمة.

إلا أنه لا يلزم أن كل واحد يحفظ هذه الشروط، هذا أمر قد لا يتأتى وقد لا يُستطاع. الآن تأتي إلى عامي في صحراء أو رجل في عمله، وتقول له: ما هي شروط

"لا إله إلا الله"؟ إذا لم يعرف هذه الشروط تقول له: إذًا أنت كافر ما علمت معنى "لا إله إلا الله"؟! لا!

معنى هذه الشروط أن المؤمن يتعبد بها، أن المؤمن ينقاد لها، بغض النظر عرفها مذكورة بترتيبها بأدلتها أو لم يعرفها. لكن كونه يحب "لا إله إلا الله"، ويحب هذه الكلمة، ويخلص في التعبد لله عَزَّوَجَلَّ، وينقاد لله عَزَّوَجَلَّ، وكذلك قد كفر بالطاغوت، وصدق بما قال الله وما قال رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلى غير ذلك مما هو مذكور.. هذا محقق لشروط "لا إله إلا الله".

نواقض الإسلام

قال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: "**نواقض الإسلام**"، يعني: ما الذي يخرج الإنسان من الإسلام بعد أن يدخل فيه؟ لأن الرِّدَّة ثابتة بالقرآن والسنة والإجماع. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ﴾ [المائدة:٥٤]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [البقرة:١٠٨].

والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يقول: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**» [أخرجه البخاري(٣٠١٧)]، ويقول: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَىٰ ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**» [أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم(١٦٧٦)]. والإجماع قائم على ثبوت الرِّدَّة.

والرِّدَّة قد تكون بالقول؛ كسبِّ الله، وسبِّ رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، أو دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، أو سبِّ أي رسول من رسل الله، أو ملك من ملائكة الله. وقد تكون بالفعل؛ كالذبح لغير الله، والنذر لغير الله، والسجود والركوع لغير الله. وقد تكون بالاعتقاد؛ كحبِّ غير الله كمحبة الله، أو التوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ كالتوكل والخوف من غير الله كخوف الله، خوف السر. وهكذا اعتقاد أن لله شريكًا أو ظهيرًا أو معينًا أو نصيرًا، أو نحو ذلك.

فلهذا يتكلم أهل العلم عن نواقض الإسلام.

قال: "اعلم أن نواقض الإسلام عشرة".

نواقض الإسلام كثيرة جدًا، ولكن هذه العشرة هي أشهر النواقض التي يخرج بها الإنسان من الإسلام، وهذه العشرة فيها إشارة إلى ما سواها من النواقض، فلا يقول قائل: هذه العشرة تدل على الحصر.

❑ الأول: الشرك في عبادة الله :

"الأول: الشرك في عبادة الله".

والشرك أنواع كثيرة، وهو أن يجعل لله شريكًا في خلقه أو ملكه، أو فيما هو من خصائصه.

سُمِّي شركًا لأنه يتضمن المشاركة. والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول عن ربه: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**» [أخرجه مسلم(٢٩٨٥)]. والشرك ينقسم إلى قسمين: شرك أكبر، وشرك أصغر. والمراد به هنا الشرك الأكبر المخرج من الملة.

وقوله: (**في عبادة الله**)، العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال والاعتقادات. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:٤٨]، أي: إن الله لا يغفر إشراكًا به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، أي: الذنوب والمعاصي التي هي دون الشرك؛ من الزنا، وشرب الخمر، والغيبة، والنميمة، والقتل، ونحو ذلك من الذنوب، كلها داخلة تحت المشيئة. أما الشرك -سواء الأكبر أو الأصغر- فغير داخل تحت المشيئة؛ فمن

مات على الشرك الأكبر خُلِّد في النار، ومن مات على الشرك الأصغر عُذِّب في النار ثم يكون مآله إلى الجنة.

وهذا خبر، وخبر الله يقابل بالتصديق: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾؛ لأن الشرك بالله ضياع لحق الله. وفي حديث معاذ: «**أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**» [أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم(٣٠)]. ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾، أي: من المسلمين، أما غير المسلم فلا مغفرة لذنوبه، ولا ستر لعيوبه، بل هو يوم القيامة مفضوح على رؤوس الأشهاد. وهذه الآية دليل على سعة رحمة الله عَزَّوَجَلَّ بعباده المسلمين. وقد قيل في معناها:

وَمَنْ يَمُتْ وَلَمْ يَتُبْ مِنَ الْخَطَا ... فَأَمْرُهُ مُفَوَّضٌ لِذِي الْعَطَا

أي: فهو إلى الله تحت المشيئة؛ فإن يشأ يعفُ عنه ويتجاوز، وإن يشأ انتقم منه وأخذه بمعصيته.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢].

وهذه الآية حكاها الله عَزَّوَجَلَّ عن قول عيسى عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ إذ حذر بني إسرائيل من الشرك الأكبر: إنه من يشرك بالله شركًا أكبر فقد حرم الله عليه الجنة دخولًا، ومأواه النار مخلدًا، وما للظالمين من أنصار من شفعاء ولا نصراء، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨]، ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨].

ومنه: "الذبح لغير الله؛ كمن يذبح للجن أو للقبر".

ذكر الذبح لشهرته، وإلا فمثله النذر، والسجود، والركوع، والطواف، وغير ذلك من الخوف والرهبة من هؤلاء المقبورين (**خوف السر**)، والرغبة فيهم (**رغبة السر**) بحيث يعتقد أنهم ينفعون ويضرون مع الله أو من دون الله. فالشرك أنواع، منه الذبح لغير الله. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢﴾ [**الكوثر**:١-٢]، فقُرن النحر بالصلاة، والصلاة حق لله، فالنحر كذلك حق لله. ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ﴾ [**الأنعام**:١٦٢-١٦٣]. وقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**» [**أخرجه مسلم (١٩٧٨)**].

"الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم؛ كفر إجماعًا".

أي: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم من دون الله، كما قال الكفار: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [**الزمر**:٣]، فيقول: يا حسينُاه، يا محمداه، يا عليَّاه، ونحو ذلك. "ويسألهم الشفاعة"، يدعو المقبور الذي قد وُري في التراب أن يشفع له عند الله. ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾ [**الزمر**:٤٤]. "ويتوكل عليهم"، يعتمد عليهم في جلب الأرزاق وغير ذلك، فيعلق قلبه بهم كما أن الموحد يعلق قلبه بالله عَزَّوَجَلَّ. فهذا يكفر إجماعًا.

وقد قال ربكم: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [**غافر**:٦٠]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ﴾ [**البقرة**:١٨٦].

ولا يشكل على ذلك إتيان الناس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة وسؤالهم له الشفاعة؛ لأنهم يأتونه حيًا حاضرًا قادرًا. أما الذهاب إلى القبر وسؤال الميت الشفاعة، فهذا هو المنكر. ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر:٢٢].

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَىٰ جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ**» [أخرجه مسلم(٩٤٨)].

❑ الثالث: عدم تكفير المشركين أو الشك في كفرهم

> **"الثالث: من لم يكفر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم؛ كفر".**

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ﴾ [البينة:٦]. فمن شك في كفرهم فقد شك في خبر الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❑ الرابع: تفضيل غير هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هديه :

> **"الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه - كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه- ؛ فهو كافر".**

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم:٣-٤]، وقال: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]، وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [النساء:٦٥].

فالذي يعتقد أن القوانين الوضعية أكمل من حكم الله، أو مساوية له، أو أن حكم الله لا يصلح لهذا الزمان؛ فهذا كفر أكبر. أما من حكم بغير ما أنزل الله لهوى أو شهوة مع اعتقاد وجوب حكم الله، فهذا عاصٍ.

❑ **الخامس: بغض شيء مما جاء به الرسول** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

> **"الخامس: من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ولو عمل به؛ كفر".**
>
> **والدليل قوله تعالى:** ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد:٩].

فمن كره حكم الله لأنه دين الله، فهذا كفر. أما من ترك العبادة أو كرهها لكسل أو شهوة مع إقراره بأنها دين الله الحق، فهذا عاصٍ لا يكفر.

❑ **تنبيه مهم**

إلا أنه ينبغي في هذا الباب أن الإنسان لا يذهب يكفِّر هو، هذه المسألة إلى العلماء؛ هم الذين يكفرون ويبدِّعون ويفسِّقون؛ لأنه لا بد من توفر الشروط وانتفاء الموانع. فالقاعدة عند أهل العلم: ليس كل من وقع في الكفر كافر؛ فقد يكون عنده جهل، أو خطأ، أو نسيان، أو إكراه، أو تأويل يمنع من تكفيره.

فلا بد من إقامة الحجة عليه بتعليمه وتفهيمه أن هذه المسألة كفر، وأن هذا القول كفر، وأن هذا الفعل كفر؛ فإن استكبر ومضى على ما هو عليه، عند ذلك يحكم عليه أهل العلم بما يحكمون، والله المستعان.

❑ السادس: الاستهزاء بشيء من الدين

السَّادِسُ: مَنِ اسْتَهْزَأَ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ ثَوَابِهِ، أَوْ عِقَابِهِ؛ كَفَرَ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].)

الاستهزاء بالدين دليل على الاحتقار، دليل على ضعف الإيمان، دليل على ضعف تعظيم شعائر الله. والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿ذَٰلِكَ ۖ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج:٣٢].

وما كان من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من الوحي، وما كان من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينبغي أن يعظم ولا يرد. ثم إن الاستهزاء دليل على عدم القبول لذلك المأمور به، إلى غير ذلك من اللوازم التي تلزم.

فمن استهزأ بشيء من دين الله؛ كالصلاة، كقول بعضهم: "أنت الآن ترفع دبرك إلى السماء" ونحو هذا الكلام القبيح، فهذا كفر وزندقة.

أو الزكاة؛ يقول: "إيش، الله عَزَّوَجَلَّ اقترض منا؟ أقرض أقرض الله" ونحو هذا الكلام الذي يحمل الاستهزاء، ربما يؤدي إلى ذلك.

أو الثواب؛ يذكر الله عَزَّوَجَلَّ ويذكر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جزاءً على هذا العمل جنة وما فيها من كذا، فتجده يسخر بذلك الثواب.

أو كذلك العقاب؛ كما يقول بعض الجهلة: "اجعله يعطيني فيه حمار"، "عساه ما يدخلني النار الآن". مثل هذا الكلام لا يجوز!

ومثل قولهم: "والله لو جاء جبريل"، "والله لو قال الله".. هذه كلها أقوال لا تجوز!

والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ﴾ [التوبة:٦٥]، هذه الآية جاء فيها آثار ومراسيل، وذلك أن جمعًا طعنوا في صحابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالوا: "ما رأينا أرغب أكلاً، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء من قرائنا هؤلاء" -يعنون أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فأنزل الله: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ٦٥ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦]، فجاؤوا إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجعلوا يعتذرون، فما يزيدهم على قوله: ﴿لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ﴾ [التوبة:٦٦].

وهذا دليل على أن بعضهم كان من أهل الإيمان؛ لأن بعضهم ذهب إلى أنهم من المنافقين، ولو كانوا من أهل النفاق -كما قال شيخ الإسلام- لقال: "كفرتم بعد إسلامكم"، لكن بعضهم كان من أهل الإيمان، ومع ذلك كفرهم الله عَزَّوَجَلَّ بهذا الصنيع، ثم تاب أهل الإيمان وبقي أهل النفاق على زندقتهم وكفرهم.

وهكذا من الاستهزاء: التمثيليات الظاهرة؛ كما يقع في مسلسل يقال له "طاش ما طاش"، وهكذا مسلسلات أخرى؛ ربما يقع الاستهزاء باللحى، والاستهزاء بالحجاب، والاستهزاء بالدين جملة وتفصيلًا.

❑ **السابع: السحر**

(السَّابِعُ: السِّحْرُ، وَمِنْهُ الصَّرْفُ وَالْعَطْفُ، فَمَنْ فَعَلَهُ أَوْ رَضِيَ بِهِ؛ كَفَرَ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢].)

السحر كفر؛ تعلمه وتعليمه، لما يأتي:

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» [**أخرجه أبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي(١٣٥)**]، فمن باب أولى من كان كاهنًا أو عرافًا!

إذا كان من يأتي الكاهن والعراف ويصدقه بما يقول كافرًا، فكيف بمن هو ساحر وعراف؟!

وكفر الساحر والكاهن والعراف من عدة أوجه:

* **الوجه الأول**: ادعاء علم الغيب.

* **الثاني**: الاستعانة بالجن والشياطين والتقرب إليهم بأنواع القربات التي هي شرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

* **الوجه الثالث**: ما يقع منهم من الامتهان لبعض آيات الله؛ فربما يذبحون الذبيحة ولا يسمون الله عليها، وربما خطوا المصحف بدم الحيض، أو وضعوه في أماكن القاذورات، وربما صلى بدون طهارة؛ لأن الجني يأمره بذلك.

وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ في شأنهم: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢]، فدل على أن تعلم السحر وتعليم السحر كفر أكبر مخرج من الملة.

ومنه -أي من أنواعه-: الصرف والعطف.

* **الصرف**: لصرف المرأة عن زوجها بالتّباغض بينهما.

* **والعطف**: عطف المرأة على الرجل بالتّحاب بينهما، وهذا يفعله الكثير.

فمن فعله -فعل السحر -أو رضي به كفر، حتى وإن لم يفعله؛ لأنه رضي بالكفر، والله عَزَّوَجَلَّ نهانا عن الرضا بالكفر.

قال: والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [البقرة:١٠٢].. أي الدليل على أن السحر كفر: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٠٢].

إذن الله الكوني، ليس الشرعي؛ لأن الله لا يأذن بالسحر، لكن المراد هنا: الإذن الكوني القدريّ الذي لا بد أن يقع. إذ إن إذن الله ينقسم إلى قسمين:

١. **إذن شرعي**: وهو ما أمر به في الكتاب والسنة.

٢. **وإذن كوني**: وهو ما قدره الله عَزَّوَجَلَّ.

﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [البقرة:١٠٢-١٠٣].

فالشاهد: أن التكفير للساحر في هذه الآية من عدة أوجه كثيرة. ثم يذهب بعضهم ويقول: "ما هو كفر"؟!

﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البقرة:١٠٢].. اتباع ما تتلو الشياطين من الكفر والزندقة، إسلامٌ أم كفر؟ كفر!

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة:١٠٢].. يعني أن هذا السحر وما فيه من كفر الشياطين.

﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢].. من كفرهم تعليم السحر.

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢].. بيان أن تعلم السحر كفر.. إلى آخر الآية.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ؛ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ**» [أخرجه أبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه(٣٧٢٦)].

❑ الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين

(الثَّامِنُ: مُظَاهَرَةُ الْمُشْرِكِينَ وَمُعَاوَنَتُهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١].)

أي من أسباب الردة: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين.

وليس من ذلك عمل المعاهدات والمعاقدات بين المسلمين والكفار؛ فهذا جائز، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد عاقد وعاهد اليهود وقريشًا وغير ذلك. لكن المراد: المظاهرة، المعاونة، والرضا بما هم عليه.

والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ﴾ [آل عمران:٢٨]، هذا لا محذور فيه.

وأما الموالاة لهم: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ [المائدة:٥١].

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [المائدة:٥١]، أي من تولاهم ظاهرًا وباطنًا فهو منهم ظاهرًا وباطنًا. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١].

والدليل على أن مجرد الموالاة لا يكفر صاحبها إلا إذا كان ظاهرًا وباطنًا: قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ﴾ [الممتحنة:١].. فنادى الله حاطب بن أبي بلتعة بالإيمان، مع أنه قد كتب إلى قريش! كتب إلى قريش بخبر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ومع ذلك ناداه بالإيمان.

فلا يجوز الرضا بإهانة الكافرين، ولا الإعانة للكافرين على المسلمين، ولا تكثير سواد الكافرين؛ "من كثَّر سواد قوم فهو منهم"، هكذا يقول عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ﴾ [الأنعام:٦٨].

ومن أعظم الشبه التي يدخل بها أصحاب تنظيم القاعدة وداعش والجماعات الجهادية على تكفير الحكام: ما وقع بينهم وبين الكفار من المعاقدات والمعاهدات، والأمر على ما تقدم بيانه.

❑ **التاسع: اعتقاد جواز الخروج عن شريعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**

> **(التَّاسِعُ: مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا وَسِعَ الْخَضِرَ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَهُوَ كَافِرٌ.)**

الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يتعبد لله عَزَّوَجَلَّ بغير التوراة؛ لأنه غير مأمور باتباع موسى. نعم، هو مأمور بتصديق موسى -كل رسول يصدق الآخر -لكن غير مأمور بالتعبد بما جاء في التوراة؛ لأنه نبي، ويأتيه من الوحي ما لم يأتِ موسى: «**يَا مُوسَى، إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ اللهُ لَا أَعْلَمُهُ**» [**أخرجه البخاري (١٢٢)، ومسلم(٢٣٨٠)**] **(الحديث بمعناه)**.

والسبب في ذلك: أن كل رسول كان يبعث إلى قومه خاصة؛ موسى إلى بني إسرائيل، هود إلى عاد، صالح إلى ثمود، لوط إلى قومه.. وهكذا. فإذن يجوز لكل نبي أن يتعبد بشريعته ولو كانوا في زمن واحد.

أما بعد مبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يجوز لأحد أن يتعبد بشيء إلا ما كان عن طريق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فمن زعم أنه يسعه الخروج من مذهب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من طريق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما وسع الخضر الخروج من شأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهو كافر. ومن ذلك غلاة الصوفية، والرافضة الباطنية.

فغلاة الصوفية يقولون: "حدثني قلبي عن ربي"، أي ليسوا بحاجة إلى شريعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! "أنتم حدثكم محمد عن جبريل عن الله، وأنا حدثني قلبي عن الله!".. هذا كفر وزندقة.

فإن ادعى علم الباطن؛ الله ما أمرنا بالعمل بالعلم الباطن القائم على المكاشفات والرؤى ونحو ذلك، الله عَزَّوَجَلَّ أمرنا بالعلم الظاهر؛ علم الكتاب والسنة.

❑ العاشر: الإعراض عن دين الله تعالى

(الْعَاشِرُ: الْإِعْرَاضُ عَنْ دِينِ اللهِ تَعَالَى، لَا يَتَعَلَّمُهُ، وَلَا يَعْمَلُ بِهِ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢].)

والمراد به: الإعراض الكلي، الإعراض الكلي؛ بحيث لا يعلم التوحيد ولا يعمل بالتوحيد، ولا يعلم الصلاة ولا يعمل بالصلاة.

أما بعض الإعراض عن بعض أمور الدين مع عمله بغيرها من الأمور الواجبة والمتحتمة، فهذا لا يكفر، ولكن يكون عنده من النقص بقدر إعراضه.

لا يتعلمه ولا يعمل به؛ لأن الواجب العلم: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩].

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢].. يعني لا أظلم ولا أكفر من إنسان ذُكِّر بآيات ربه من الوحي المنزل على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم أعرض عنها إعراضًا كليًا؛

لا علم ولا عمل. ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢] أي من الكافرين، ينتقم الله منهم يوم القيامة.

ومثله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه:١٢٤-١٢٦].

❑ الهازل والجاد والخائف والمكره

> **(وَلَا فَرْقَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ النَّوَاقِضِ بَيْنَ الْهَازِلِ، وَالْجَادِّ، وَالْخَائِفِ، إِلَّا الْمُكْرَهَ. وَكُلُّهَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يَكُونُ خَطَرًا، وَأَكْثَرِ مَا يَكُونُ وُقُوعًا، فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَهَا، وَيَخَافَ مِنْهَا عَلَى نَفْسِهِ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ مُوجِبَاتِ غَضَبِهِ، وَأَلِيمِ عِقَابِهِ).**

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل: المازح.

والجاد: المتعمد.

والخائف: الذي لم يصل به الحال إلى الإكراه؛ يعني بأدنى شيء يقع في مسببات الردة، لو خاف يقطعوا عليه المعاش يقع في الردة! هذا لا يجوز. يقول: "أنا مضطر، أنا مكره".. هذا ليس بإكراه وليس اضطرارًا.

(**إِلَّا الْمُكْرَهَ**)، وهو قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل:١٠٦]. انظر! المكره يفعل ذلك وقلبه مطمئن بالإيمان.

وضابط الإكراه: أن يُهَدَّد ممن يوقع تهديده بأمرٍ لا يتحمله في نفسه أو دينه أو عرضه، فعند ذلك يجوز له أن يظهر خلاف ما يبطن. أما لو قال لك: "سأقطع

عليك المعاش"، هذا ما هو إكراه! أو يهددك وهو لا يستطيع أن يقوم بما هدد به، هذا ما هو إكراه!

لكن لو أن رجلًا بسلاحه فوق رأسك، وهو فاجر مجرم، يقول: "إما أن تسب الله عَزَّوَجَلَّ وإما قتلتك"، وأنت مستيقن منه أن يفعل ما هدد به؛ فمثل هذا إذا أجبته مع اطمئنان قلبك بالإيمان لا حرج عليك، هذا هو الإكراه.

وإلا فقد ذهب بعض أهل العلم إلى أنه لو هددك بالسجن لا تستجب؛ فيوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سُجن سبع سنين متورعًا عن الفاحشة، فليس كل تهديد وليس كل إكراه يستسلم له الإنسان.

قال: "إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطرًا وأكثر ما يكون وقوعًا" أي هذه العشرة من أعظم ما يكون خطرًا وأكثر ما يكون وقوعًا، وإلا فهناك نواقض قولية وفعلية واعتقادية غير ما ذُكر.

فينبغي للمسلم أن يحذرها، وحذرُها بتعلمها وتعلم ما يناقض الإسلام، وتعلم الإسلام الحق، حتى يصل إلى الله عَزَّوَجَلَّ مكرمًا منعمًا، والله المستعان.

أنواع التوحيد

(التوحيد ثلاثة أنواع):

وهذا التقسيم عُرِف بالاستقراء، وذلك بتتبع النصوص القرآنية والأحاديث النبوية؛ نجد أن التوحيد ينقسم إلى هذا التقسيم الثلاثة، مع أن أهل البدع من الصوفية وغيرهم ينكرون هذا التقسيم، ويعتبرونه تقسيمًا مبتدعًا، وممن سمعناه شدد في إنكاره: المشرك علي الجفري! وذلك لأنهم يؤمنون بأن الله هو الخالق، الرازق، المالك، المدبر، ويصرفون العبادات لغيره من المقبورين؛ فلذلك يريد تجويز الشرك لنفسه، بدعوى أن التوحيد فقط هو الإقرار بالخلق والملك والتدبير!

ويستدل بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [يوسف:٣٩]، قال: "لماذا لم يقل: آلهة؟!".. الرب من معانيه أيضًا الإله المعبود محبةً وتعظيمًا، فقد يطلق هذا الاسم ويُراد به الاسم الآخر؛ أي: إله مع الله! تعالى الله عما يشركون، ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء:٢٢].

❑ **الأول: توحيد الربوبية**

الأول: توحيد الربوبية، وهو الذي أقر به الكفار على زمن رسول الله ﷺ ولم يدخلهم في الإسلام، وقاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم، وهو توحيد الله بفعله تعالى.

معنى استحل دماءهم وأموالهم؛ أي: بالإسلام، لأن الله عَزَّوَجَلَّ جعل أموال المشركين التي تؤخذ عنوة غنيمة، وجعل دماءهم التي سُفكت لا إثم فيها، وأباح حتى ذراريهم بالرق والاستعباد.

وهو توحيد الله بفعله تعالى؛ بفعله: خلقه، رزقه، ملكه، تدبيره.. وأفعال الله كثيرة: فعال لما يريد، إلا أنه يُطلق هذه الثلاثة الأمور لأن مدار الأفعال عليها: إفراد الله بالخلق والملك والتدبير.

فتفسير "لا إله إلا الله" بأنه "لا رب إلا الله" -أي: خالق، رازق، مالك، مدبر -هذا تفسير لا يستقيم؛ لأن النبي ﷺ لم يحكم لمن يؤمن بالله خالقًا، رازقًا، مالكًا، مدبرًا أنه مسلم! بل الله عَزَّوَجَلَّ قبل ذلك في كتابه لم يحكم لهم بالإسلام، بل يحكم لهم بالكفر: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣] ومع ذلك أكفرهم الله! ويقول: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ﴾ [النحل:٣٥] وأكفرهم الله بذلك وكذبهم.

والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١]. **والآيات على هذا كثيرة جدًّا.**

فانظر إلى هذه الآية تضمنت ما تقدم:

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم﴾: إفراد الله بالرزق.

﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾: إفراد الله بالملك.

﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ﴾: إفراد الله بالتدبير.

فهم يقولون بلسان حالهم ومقالهم إن الله فاعل ذلك. والآيات على هذا كثيرة جدًا، وكثير منها في سورة يونس؛ تكرر مرارًا لأن سورة يونس مكية، وكان نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يناظرهم ويحاججهم كثيرًا.

حتى في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيح، في ذلك الرجل الذي جاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأسلم، قال: "يا رسول الله -أو يا محمد -من خلق السماء؟" قال: «**اللهُ**». قال: "من خلق الأرض؟" قال: «**اللهُ**». قال: "من نصب الجبال وجعل فيها ما فيها؟" قال: «**اللهُ**». قال: "فأسألك بالذي خلق السماء، وخلق الأرض، ونصب الجبال: آلله أرسلك؟" قال: «**نَعَمْ**» [**أخرجه البخاري** (٦٣)، **ومسلم**(١١)]، بعد ذلك أسلم.

فهذا أمر متفق عليه بين العقلاء، ولا يخالف فيه إلا نزاع من شواذ البشرية الذين يزعمون أن لا إله والحياة مادة! لكن الواقع الذي تدل عليه الفطرة

الصحيحة، والكتاب المبين، والسنة الصحيحة، والعقل السليم: أن الله عَزَّوَجَلَّ خالقًا، رازقًا، مالكًا، مدبرًا.

فإذا أثبتنا لله عَزَّوَجَلَّ هذا الأمر لزم أن يكون مفردًا بالعبادة والطاعة؛ لأن العلماء يقولون: "توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية". فأنت حين تصلي لله، وتدعو الله، وتتوكل على الله؛ معنى ذلك أن الله هو الخالق، الرازق، المالك، المدبر. وتوحيد الربوبية يلزم منه توحيد الألوهية؛ فأنت حين تعتقد أن الله هو الخالق، الرازق، المالك، المدبر، يلزم أن تصلي له، وتصوم له، وتنذر له، وتطيع أمره، وتنتهي عن نهيه وزجره.

❑ الثاني: توحيد الألوهية

الثاني: توحيد الألوهية.

له عدة أسماء، كما أن الأول له أسماء، منها: "التوحيد العلمي"، و"توحيد المعرفة"، و"توحيد الله في أفعاله". كذلك توحيد الألوهية له أسماء، منها:

* "التوحيد الطلبي"؛ لأن الله طلبه من العباد.
* ومنه "توحيد القصد"؛ لأن العباد يقصدون بأفعالهم الله عَزَّوَجَلَّ.
* ومنها "توحيد النية"؛ أي النية تكون لله عَزَّوَجَلَّ.
* و"توحيد الإلهية"؛ لأن الإنسان يتأله لله عَزَّوَجَلَّ.
* و"التوحيد العملي"؛ لأن العباد يعملون لله عَزَّوَجَلَّ.

وهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه.

بل من أجله أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وشرع الجهاد، وانقسم الناس إلى مؤمنين وكفار، وإلى أبرار وفجار، وإلى أصحاب جنة وأصحاب **نار**.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦].. لم يقل: أن تؤمنوا بأن الله هو الخالق الرازق المالك المدبر؛ لأنهم يؤمنون بذلك، ولكن قال: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾.

﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ﴾ [النساء:٣٦].

﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ﴾ [الأنعام:١٥١].

﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [المائدة:٧٢].

«**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» [أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢)].

«**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ**» [أخرجه مسلم(٢٣)].

ولذلك تجد أكثر الكلام في الكتب المصنفة في التوحيد عن هذا التوحيد: "توحيد الألوهية". وينتقد العلماء على من صنف في التوحيد وركز على توحيد الربوبية فقط.

وإلا لو أهملنا توحيد الألوهية معناها أن عباد القبور على أكمل الحال! بل إنهم يفنون في باب الربوبية فناء عظيمًا، حتى أن بعضهم قد يُشغل عن العبادة بالتفكر في الله! كما يقولون: "شغلني معرفته عن عبادته"! يعني لماذا لا تصلي يا فلان؟ قال: "أنا مشغول بما هو أعظم من الصلاة، بما هو أعظم من الحج، بما هو أعظم من الزكاة، بما هو أعظم من الصوم!" ما هو؟ "مشغول بالتفكر في الله!" الله ما أمرنا أن نتفكر فيه، أمرنا أن نتفكر في مخلوقاته: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الأعراف:١٨٥].. تفكروا في مخلوقات الله ولا تتفكروا في الله؛ لأن التفكر في الله عَزَّوَجَلَّ قد يؤدي إلى الضلال والانحلال.. نسأل الله السلامة والعافية.

وهو توحيد الله بأفعال العباد.

انظر: توحيد الربوبية: إفراد الله بأفعاله (**خلق، رزق، ملك، تدبير..**). أما هذا: بأفعال العباد (**صلاة، صيام، دعاء، نذر، نحر..**).

وهو توحيد الله بأفعال العباد، وإن شئت أن تقول: بأفعال المكلفين؛ كالدعاء.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠].

والنذر.

قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان:٧].

والنحر.

قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر:٢].

والرجاء.

قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ [الكهف:١١٠].

والخوف.

قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ [آل عمران:١٧٥].

والتوكل.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣].

والرغبة.

قال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء:٩٠].

والإنابة.

وكل نوع من هذه الأنواع عليه دليل من القرآن والسنة.

(**والإنابة**) قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر:٥٤].

❑ **الثالث: توحيد الأسماء والصفات:**

الثالث: توحيد الذات والأسماء والصفات.

أي إثبات الذات التي هي نفس الله، المتصفة بالأسماء والصفات، فالله له ذات تليق بجلاله، وهو موجود وله أسماء وصفات تليق بجلاله.

وهذا الباب يُدرس بتوسع في باب "العقيدة"، أما في باب التوحيد فيركز على باب "الألوهية". لكن باب العقيدة يُركز فيه على توحيد الأسماء والصفات؛ لأنه باب يعتمد على الغيب، ويعتمد على الدليل من الكتاب والسنة، ويعتمد على الاعتقاد.

وأسماء الله عَزَّوَجَلَّ لا تؤخذ بالعقل ولا بالرأي، وإنما تؤخذ من الكتاب والسنة، وهكذا صفات الله عَزَّوَجَلَّ إنما تؤخذ من الكتاب والسنة، مع وجوب اعتقاد أن كل اسم يدل على الكمال المطلق، وأن كل صفة تدل على الكمال المطلق.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص:١-٤].

وقد قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**» [**أخرجه البخاري (٥٠١٣)، ومسلم(٨١١)**].

فتضمنت اسم "الله"، واسم "الأحد"، واسم "الصمد". كما تضمنت النفي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف:١٨٠].

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

استدل المبتدعة المعطلة بأولها: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ فعطلوا الله من السمع والبصر والقدرة والإرادة والقوة وغير ذلك! واستدل الممثلة بشقها الأخير: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فأثبتوا لله السمع والبصر على وجه يشبه سمع المخلوق وبصره، والحق هو الجمع بين الأمرين: إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل.

الشرك وأنواعه

ضد التوحيد الشرك.

قد يقول قائل: ما الفائدة من تعلم الشرك؟

الفائدة: أن الشيء يُعرف بضده؛ فإذا عرفتَ التوحيد وعرفتَ ضده الشرك، وعرفتَ الشرك وعرفتَ ضده التوحيد؛ تبين لك عظيم منزلة التوحيد، وقبح الشرك والتنديد. لأن التوحيد هو: إفراد الله بما يجب له، والشرك: أن تجعل مع الله عَزَّوَجَلَّ شريكًا إما في ألوهيته، وإما في ربوبيته، وإما في أسمائه وصفاته.

والقاعدة عند أهل العلم: أن الأمر بالشيء نهيٌ عن ضده، والنهي عن الشيء أمرٌ بضده.

فأنت ستجد في القرآن: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٣٦]؛ هذا أمر بالتوحيد، وهو نهيٌ عن الشرك والتنديد.

وتجد: ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦]؛ وهذا نهيٌ عن الشرك، وهو أمرٌ بالتوحيد.

قال حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي**» [أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم(١٨٤٧)].

وقال الشاعر:

عَرَفْتُ الشَّرَّ لَا لِلشَّرِّ وَلَكِنْ لِتَوَقِّيهِ

وَمَـــنْ لَا يَعْـــرِفِ الشَّـــرَّ مِـــنَ الْخَيْـــرِ يَقَـــعْ فِيـــهِ

وسُمِّي الشرك بهذا الاسم لأن المندد يجعل لله مشاركًا؛ فمثلًا في الربوبية يجعل له معينًا، أو نصيرًا، أو ظهيرًا. وفي الألوهية يصرف الدعاء لغيره، والنذر لغيره، والذبح لغيره. وفي الأسماء والصفات أن يسمي الله - أو يسمي آلهته بأسماء الله المختصة، أو بأسماء الله عَزَّوَجَلَّ مع معانيها التي لا تليق إلا بالله.

وهو ثلاثة أنواع: شرك أكبر، وشرك أصغر، وشرك خفي.

وعند التحقيق يقسمونه إلى شركين: شرك أكبر، وشرك أصغر.

❑ **الفروق بين الشرك الأكبر والأصغر**

فالشرك الأكبر:

١. يخرج من الإسلام.

٢. يحل معه المال والعرض والنفس.

٣. يخلد صاحبه في النار.

٤. يذهب جميع الإيمان.

٥. يحبط جميع الأعمال.

بينما الشرك الأصغر:

١. لا يخلد صاحبه في النار، إنما يعذب ثم يخرج.

٢. لا يبيح الدم والمال.

٣. لا يخرج من الإسلام والإيمان، إنما ينقص الإيمان.

٤. لا يحبط جميع الأعمال، وإنما يحبط العمل الذي داخله، مع تفصيل لأهل العلم.

إلا أنه على التحقيق أن الشرك الأكبر والأصغر لا يدخلان تحت المشيئة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

ذهب كثير من أهل العلم إلى أن الشرك الأصغر حكمه حكم صاحب الكبيرة؛ أي أن الله عَزَّوَجَلَّ قد يغفر له وقد لا يغفر له، كما يقول السفاريني:

وَمَنْ يَمُتْ وَلَمْ يَتُبْ مِنَ الْخَطَا ... فَأَمْرُهُ مُفَوَّضٌ لِلَّذِي عَطَا
فَإِنْ يَشَأْ يَأْخُذْ وَإِنْ شَاءَ انْتَقَمْ ... وَإِنْ يَشَأْ يَعْفُو وَيُجْزِلِ النِّعَمْ

فيجعلون الشرك الأصغر كصاحب الكبيرة. والصحيح ما دل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾؛ أي إشراكًا به، إلا أن الشرك الأكبر يخلد في النار، والأصغر لا يخلد في النار.

❑ الشرك الأكبر:

النوع الأول من أنواع الشرك: الشرك الأكبر، لا يغفره الله ولا يقبل معه عملًا صالحًا.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾ [النساء:١١٦].

وفي الآية الأخرى: ﴿فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:٧٢]، **ثم قال:** ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

وهذا دليل على أن الشرك الأكبر يوجب الخلود في النار، وأن المشرك يسمى ظالمًا، وأن عيسى عبد الله ورسوله.

وفيه معنى «**لا إله إلا الله**»: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ إثبات، ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ نفي.

وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣].

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يا رسول الله، ابن جدعان كان يقري الضيف ويصل الرحم، فهل ذلك نافعه؟ قال: «**لَا، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**» [**أخرجه مسلم(٢١٤)**].

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن أسلم وكان له أعمال قبل الإسلام: «**أَسْلَمْتَ عَلَىٰ مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ**» [**أخرجه البخاري (١٤٣٦)، ومسلم(١٢٣)**].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨].

وهذا التهديد لبيان خطر الشرك، وإلا فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معصوم منه.

❑ **أنواع الشرك الأكبر:**

والشرك الأكبر أربعة أنواع.

الشرك أنواع كثيرة، لكن أراد بيان الأنواع المشهورة.

الأول: شرك الدعوة.

أي دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله. أما دعاء الحي الحاضر القادر فيما يقدر عليه فلا حرج.

والدليل على أن الدعاء عبادة قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾ [غافر:٦٠]، وقال: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة:١٨٦].

وقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا مُجِيبًا**» [أخرجه البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم(٢٧٠٤)].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت:٦٥].

وهذا من الفوارق بين مشركي قريش ومشركي هذا الزمان؛ فإن أولئك كانوا يخلصون لله في الشدة.

❑ **الثاني: شرك النية والقصد:**

الثاني: شرك النية والإرادة والقصد.

والدليل قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ **إلى قوله:** ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا﴾ [هود:١٥-١٦].

وهذه الآية في الرياء الأكبر الذي لا يكون إلا من المنافقين، لا في الرياء الأصغر الذي يطرأ على المؤمن.

❑ **الثالث: شرك الطاعة:**

الثالث: شرك الطاعة.

قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١].

وتفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصية، لا دعاؤهم إياهم، كما فسرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعدي بن حاتم لما سأله فقال: لسنا نعبدهم؟ فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية

وقد فسر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك لعدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: «**أَلَيْسَ يُحِلُّونَ لَكُمُ الْحَرَامَ فَتُحِلُّونَهُ، وَيُحَرِّمُونَ عَلَيْكُمُ الْحَلَالَ فَتُحَرِّمُونَهُ؟**» قال: بلى. قال: «**فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ**» [أخرجه الترمذي(٣٠٩٥)].

وهذا في طاعتهم في المعصية مع العلم، لا مجرد الطاعة الجاهلة.

❑ الرابع: شرك المحبة:

الرابع: شرك المحبة.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

فمن أحب غير الله كمحبة الله، أو قدم محبته على محبة الله، فهذا شرك أكبر.

أما المحبة الطبيعية كمحبة الوالد والولد والزوجة فليست من هذا الباب، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

أنواع الكفر

الكفر كفران.

هذا التقسيم لا بد منه؛ تقسيم الكفر، وتقسيم النفاق، وتقسيم البدعة؛ لأن الخوارج لا يقسمون ولا يفصلون في هذا الباب، فيكفِّرون المسلمين، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**» [رواه البخاري (٣٣)، مسلم(٥٩)]، يجعلونها كلها في المنافق الاعتقادي، وليس كذلك؛ كما هو معلوم فإن هذه علامات للنفاق، وتتمحض في صاحب النفاق الاعتقادي، وهي من النفاق العملي. وهكذا الكفر؛ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**» [رواه البخاري (٤٨)، مسلم(٦٤)]، لكن هل المراد بالكفر هنا الكفر المخرج من الملة، أم كفر دون كفر كما هو المعلوم؟ الصواب أنه كفر دون كفر.

إذاً لا بد من التفصيل؛ لأننا إذا حكمنا على ما حكم عليه الإسلام بالكفر على ما جاء به النص سلمنا. فمثلاً لفظة الكفر تطلق ويُراد بها الأكبر المخرج من الملة، وتطلق ويُراد بها الأصغر كفر دون كفر. وفي هذا التقسيم رد على المرجئة والخوارج؛ المرجئة الذين يزعمون أنه لا يضر مع الإيمان شيء، والخوارج الذين يكفرون المسلمين بمطلق المعصية.

النوع الأول: كفر يخرج من الملة

أي أن صاحبه مرتد كافر، يخلد في النار إن مات عليه.

وهو خمسة أنواع:

النوع الأول: كفر التكذيب.

الدليل: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [العنكبوت:٦٨].

وهذا أيضاً تقسيم مهم؛ لأن المرجئة ذهبوا إلى أن الكفر لا يكون إلا بالجحود، الكفر عندهم لا يكون إلا بالجحود؛ ولذلك رد الشيخ ابن باز على الطحاوي في قوله: "إن الكفر لا يكون إلا في الجحود"، قال: "هذا الإطلاق فيه نظر"؛ فالكفر يكون بالجحود، ويكون بالتكذيب، ويكون بالإعراض، ويكون بالرد، وكل بحسبه؛ لأن الكفر أيضاً يكون بالقول، ويكون بالفعل، ويكون بالاعتقاد.

النوع الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التصديق.

الدليل: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤].

يعني: يكون مصدقاً بقلبه أن هذا هو الحق، لكن يمنعه الكبر من الدخول في دين الإسلام؛ ككفر إبليس. كفر إبليس؛ إبليس يعلم وجوب متابعة أمر الله عَزَّوَجَلَّ، إلا أنه استكبر على أمر الله.

وهذا موجود في أغلب الأمم، هذا النوع من الكفر موجود في أغلب الأمم؛ ولذلك يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾ [الأعراف:٧٥]. ويذكر أصحاب السير أن سبب كفر أبي جهل من هذا الباب؛ أنه منعه الكبر، وكفر أمية بن أبي الصلت من هذا الباب؛ منعه الكبر، وكم ممن صدوا عن دين الله عَزَّوَجَلَّ بسبب الكبر.

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ أمر الله الملائكة أن تسجد لآدم طاعة لله، ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ أبو الجن، الشيطان الأكبر، ﴿أَبَىٰ﴾ أعرض ورد، ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ فكفره كان بالإباء والاستكبار، وكان من الكافرين.

ومثل كفر هرقل؛ هرقل يعلم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرسل، وصدق ذلك، لكن أبى من أجل الملك.

النوع الثالث: كفر الشك، وهو كفر الظن.

إذ يشك مثلاً في قدرة الله، أو في حكمة الله، أو في علم الله، أو يشك في دين الله، أو يشك في شيء مما هو معلوم من الدين بالضرورة.

*** الدليل: قوله تعالى:** ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ٣٦ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ٣٧ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٣٨﴾ [الكهف:٣٥-٣٨].

فمن قوله: ﴿أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ﴾ دل على أن الشك كفر؛ فإن هذا كان متشككًا في شأن الآخرة، كما أن من شك في أمر الله كفر، والله المستعان.

النوع الرابع: كفر الإعراض.

الدليل: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ﴾ [الأحقاف:٣]، **وقوله:** ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ﴾ [السجدة:٢٢].

فالإعراض عن دين الله، الإعراض الكلي؛ لا يعلمه، ولا يتعلمه، ولا يقبله، ولا يعمل به، هذا كفر أكبر مخرج من الملة.

النوع الخامس: كفر النفاق.

الدليل: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ [المنافقون:٣].

والمراد بالنفاق هنا النفاق الأكبر، وهو أنه يبطن الكفر ويظهر الإسلام. وهؤلاء لا شك في كفرهم؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا﴾ [النساء:١٤٥].

فعندهم شك وريب، وعندهم كبر وعناد، وعندهم كثير من أسباب الكفر بالله عَزَّوَجَلَّ، وعندهم التلون؛ يؤمنون ظاهراً ويكفرون باطنًا، ثم إذا وجدوا أصحابهم ومن إليهم كفروا ظاهراً وباطنًا، وهم أشد على الأمة من غيرهم؛ ضررهم على الأمة أعظم من ضرر اليهود والنصارى وغيرهم من الكافرين؛ إذ إنهم يطعنون في الإسلام من الداخل، ولذلك أظهر الله عَزَّوَجَلَّ من صفاتهم الشيء الكثير.

وكم لهذا الصنف من وجود الآن! تجد الرافضة منافقين، والباطنية، والحداثيين، وكذلك غير ذلك من الضالين.

النوع الثاني: كفر أصغر لا يخرج من الملة:

وهو كفر النعمة، ويقال عنه: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم.

الدليل: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]؛ جماهير العلماء على أنها كفر دون كفر، كما نُقل هذا التفسير عن ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وغير واحد.

وهذا النوع في كل فعل أو قول أطلق عليه الإسلام اسم الكفر وصاحبه لا يخرج من الملة، ضابطه هذا:

«**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**» [رواه البخاري (١٢١)، مسلم (٦٥)].

«**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**» [رواه البخاري (٤٨)، مسلم(٦٤)].

«**يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ**»؛ ولذلك لما قال: «**رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ تَكْفُرْنَ**» قلن: يا رسول الله، أكفرٌ بالله؟ قال: «**لَا، يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَىٰ إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ**» [رواه البخاري (٢٩)، مسلم(٩٠٧)].

ومنه أيضـًا: إضافة النعمة إلى غير الله، وإضافة النعمة إلى غير الله لا بد فيها من التفصيل؛ مثلاً إضافة المطر إلى النوء لا بد فيه من التفصيل: فإن أراد به أن النوء هو الذي خلق وأوجد وهو الذي يتصرف، فهذا كفر أكبر مخرج من الملة، وإذا أضافه على أنه موطن، ولكنه كان الأولى أن يضيفه إلى الله، فذلك كفر دون كفر.

الدليل: قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل:١١٢].

الشاهد يا إخوان أن هذا التقسيم الذي جاء به المصنف لا بد منه؛ إذ لو لم يأتِ به الإنسان لزلَّ في هذا الباب. وما زلت الخوارج هذه الزلة العظيمة والزلقة الخطيرة إلا لعدم نظرهم إلى هذه التقسيمات؛ فيأتون إلى مثل هذه الألفاظ، ومن وُجد فيه شيء منها حكموا عليه بالكفر الأكبر المخرج من الملة، وليس كذلك.

أليس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لأبي ذر: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**» [رواه البخاري (٣٠)، مسلم(١٦٦١)]؟ هل كفر أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ معاذ الله!

أليس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا**» [رواه البخاري (١٢١)، مسلم(٦٥)]؟ وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٩]، وقال بعدها: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:١٧٨]؛ سماه أخًا مع أنه قتله! وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات:٩]، مع قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**» [رواه البخاري (٤٨)، مسلم(٦٤)].

فالشاهد أنه كفر دون كفر، كفر غير مخرج من الملة؛ هذا الفعل من أفعال الكفار، لكن لا يؤدي إلى الكفر بمجرد الفعل ذاته.

بخلاف الأمور الأولى؛ من سجد لصنم كفر، أو من دعا غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، ومن ذبح لغير الله، أو من أعرض عن دين الله جملة وتفصيلاً لا

يتعلمه ولا يعلمه، أو من تعلم السحر والشعوذة والكهانة والعرافة وما إليها، لا بد من هذا التفصيل المهم.

أنواع النفاق

النفاق نوعان: اعتقادي وعملي.

وإن شئت أن تقول: نفاق أكبر وأصغر.

❑ **النفاق الاعتقادي:**

هو النفاق الأكبر، وهو إبطان الكفر وإظهار الإسلام.

* النفاق العملي: هو أنه يفعل بعض أعمال المنافقين، لا يعتقد معتقدهم ولا يسير على سيرهم.

النفاق الاعتقادي ستة أنواع صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار

كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥]، والدرك إلى أسفل دركات، والدرجات إلى أعلى؛ فالجنة درجات والنار دركات.

الأول: تكذيب الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والشك فيما جاء به.

وهذا من أعظم أنواع النفاق؛ أن يكون مكذبًا لخبر الله وخبر رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، مع أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رسول الله، ويجب تصديقه والإقرار بما جاء به.

الثاني: تكذيب بعض ما جاء به الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

إما مما هو معلوم ضرورة؛ أما بعضهم فلجهله ربما ينكر بعض الأشياء لا على أنها لم تأتِ، يعني لا على التكذيب للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولكن على الجهل بدين

الله؛ فمن كذب شيئًا مما هو معلوم من الدين ضرورة، جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كفر.

الثالث: بغض الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فكانوا يبغضون محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويتربصون به، وهكذا كل من جاء بعده.

فالواجب على المسلم أن يحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يتقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ بحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمر: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**» [رواه **البخاري** (١٤)، **مسلم**(٤٤)]؛ هذا في المحبة الواجبة، فما بالك فيمن يبغض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فإنه يكفر كفراً أكبر مخرجًا من الملة؛ فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محبوب لذاته ومحبوب لصفاته... فلا يبغضه إلا رجل قد ذهب الإيمان من قلبه.

الرابع: بغض بعض ما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وإن عمل به.

إن أبغض دين الله على أنه دين الله، وإن عمل به، كفر. وليس المراد مثلاً بغض العمل به؛ كبعض النساء ربما تبغض الحجاب، تبغض لبس الحجاب لا لأنه من الدين، ولكن ترى أنه يؤذيها، أنها ما تحبه؛ أما إذا أُبغض لأنه دين الله، فهنا يقع الكفر ويقع النفاق. لكن بغض العمل يختلف عن بغض المأمور به.

الخامس: المسرة بانخفاض دين الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يفرح إذا لحق النصر الكفار، ويحزن إذا لحق النصر أهل الإسلام. فالواجب الإيمان، والفرح، والسرور بانتصار الإسلام وظهوره.

السادس: الكراهية بانتصار دين الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

على ما تقدم: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [**الحجرات**:٧].

فذكر رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الموطن ستة أنواع من أنواع النفاق الاعتقادي. النفاق العملي الذي تميز به ابن سلول، وتتميز به الرافضة، وتتميز به الباطنية، وغلاة الصوفية، ومن إليهم.

النفاق العملي: خمسة أنواع.

والمراد بالعملي أن أعماله أعمال أهل النفاق؛ أن هذه الأعمال أعمال أهل النفاق وليست بأعمال أهل الإسلام، لكن صاحبها لا يكفر ولا يخرج من الملة؛ لأنه لم يعتقدها أصلاً، وإنما فعلها على أساس أنها معصية، فعصى الله عَزَّوَجَلَّ بها.

والدليل قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان**» [رواه البخاري (٣٣)، ومسلم(٥٩)].

وفي رواية: «**وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر**» [أخرجه البخاري برقم (٣٤) ومسلم برقم (٥٨)].

الأولى: الكذب: من صفات المنافقين ومن أعمال أهل النفاق، فينبغي للمسلم أن يكون بعيداً عنه.

الثانية: إذا وعد أخلف: وهذا إذا وعد على نية الخلف، أما إذا وعد ثم أخلف لتعلقٍ أو لشيء فلا حرج عليه؛ لكن إذا وعد على نية الخلف والخديعة.

الثالثة: إذا اؤتمن خان: خان الأمانة، والأصل: أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك؛ فإن الأمانة شأنها عظيم، تميز بها المؤمنون، واتصف بضدها المنافقون والكافرون.

الرابعة: إذا خاصم فجر؛ فجر في الخصومة. ربما يكون بينه وبين أخيه خصومة من أجل الدنيا، من أجل مسائل علمية أو عملية، فيفجر في الخصومة ويشتد في ذلك؛ فهذا هو الذي يذم. أما أن تختلف أنت وأخوك من أجل أمور ولا تفجر، تطالب بحقك وتبذل الحق الذي عليك، فهذا ليس بمحظور، وإنما الخصام والفجور؛ «**أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ**» [**رواه البخاري** (٢٤٥٧)، **ومسلم** (٢٦٦٨)].

الخامسة: إذا عاهد غدر، يعاهد ويغدر على نكث العهود والمواثيق، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [**المائدة:١**]، ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ٢٠﴾ [**الرعد:٢٠**]، ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [**الرعد:٢١**].

فالشاهد: أن هذا الباب ذكره المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ للرد على الخوارج، والرد على المرجئة؛ فالمرجئة يزعمون أن الإيمان لا يضر معه شيء، لا يضر معه عمل؛ ولذلك يرون أن أصحاب المعاصي أصحاب إيمان كامل وتام، ولا يتأثر إيمانهم بهذه المعاصي التي يعاقرونها. والخوارج الذين يكفرون المسلمين بمطلق

المعصية؛ فالقول بتكفير المسلم بمطلق المعصية هو قول الخوارج، ولذلك كفروا علي بن أبي طالب، لظنهم أنه وقع في معاصٍ، وهو بعيد عنها.

الكفر بالطاغوت

اعلم -رحمك الله تعالى-: **أن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، والدليل قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦].

زد على ذلك أن آية البقرة أصرح من هذه: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦].

فأوجب الكفر بالطاغوت، وذلك أنه لا بد من التخلية قبل التحلية؛ قبل أن يدخل التوحيد إلى القلب، يكون قد خلا القلب من الشرك. وفي حديث طارق بن أشيم: «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ**» [رواه مسلم (٢٣)].

فالكفر بالطاغوت من الواجبات المتحتمات، كما أن الإيمان بالتوحيد من الواجبات المتحتمات، ولا يمكن أن يقع الإيمان بالتوحيد إلا بالكفر بالطاغوت.

قوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾؛ الأمة: الطائفة من الناس، رسولاً: أي مرسلاً من الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾؛ دعوتهم إلى عبادة الله وحده بالتوحيد، ﴿وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾؛ الحذر من الشرك والتنديد.

والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود، أو متبوع، أو مطاع. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة:١١].

فَأَمَّا صِفَةُ الْكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ: فَأَنْ تَعْتَقِدَ بُطْلَانَ عِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ، وَتَتْرُكَهَا، وَتُبْغِضَهَا، وَتُكَفِّرَ أَهْلَهَا، وَتُعَادِيَهُمْ.

يعني إذا قال لك إنسان: كيف أكفر بالطاغوت؟ قل له:

* **أولاً**: أن تعتقد أن عبادة غير الله من الأصنام، والأحجار، والأشجار، والملائكة، والجن، والشياطين لا تجوز؛ هذا من الكفر بالطاغوت.

* وأن تتركها إن كنت واقعًا فيها؛ لو كان هذا الرجل مشركًا منداداً، فمن الكفر بالطاغوت ترك الشرك والتنديد.

* ولا يكفي الترك حتى يقع البغض لها؛ لأنها تخالف دين الله، ولأنها مضادة ومحادة لله.

* وتكفِّر أهلها؛ لأن تكفير الكافر بالشرع، فلا يجوز أن تثبت للكافر الإسلام وتُصوِّب مذهبه الباطل.

إذا صوَّبت لأحدهم فعل الحرام مثل السرقة، أو الزنا، أو الكذب، أو البهت، يعني يُعتبر هذا عظيمة؛ فكيف إذا سوَّغت له أن ما هو فيه من الشرك والتنديد والكفر بالرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جائز؟! كما هو صنيع كثير من دعاة الإخوان المسلمين الآن؛ يصوِّبون اليهود والنصارى، ويقولون: أنتم أصحاب أديان سماوية، ونحن وأنتم مؤمنون في الجملة!

أي إيمان عند اليهودي الذي يزعم أن عزيراً ابن الله؟! أو النصراني الذي يدعي أن عيسى هو الله أو ابن الله أو مشارك لله عَزَّوَجَلَّ؟! ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦].

فلا بد من تكفير الكافر، واعتقاد بطلان دينه، وإلا كنت معترضاً على حكم الله. الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [البينة:٦]، وهذا يقول: هم أصحاب أديان سماوية! أي سماوية وهي قد غُيِّرت وحُرِّفت وبُدِّلت؟! ثم إن الله عَزَّوَجَلَّ الذي أنزل التوراة والإنجيل قد نسخها بالقرآن، وجعل الهيمنة للقرآن ولنبي القرآن، وأخذ الله ميثاق النبيين إذا بُعث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وهم أحياء أن يقع منهم النصرة والمعونة والتأييد، فمن لم يقع منه ذلك لو قُدِّرت حياتهم ما كان طائعاً لله عَزَّوَجَلَّ -وحاشاهم- إلا بطاعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

فالشاهد: لا بد من تكفير أهلها، وتعاديهم؛ تبغضهم بقلبك، وتتنكر لهم ولأفعالهم، فإن استطعت أن تحذر منها حذَّرت: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**» [رواه مسلم (٤٩)]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة:١].

الإمام أحمد يقول: "أستحي من الله أن أنظر إلى الصليب"، ويأتي الآخر ويحب اليهودي أو النصراني أو المجوسي أو البوذي! لا يجتمع حبهم في قلب مؤمن أبداً مع الإيمان، إلا إذا كانت محبة طبيعية؛ كأن يكون أخوه، أو أبوه، أو زوجته الكتابية؛ قد يحبهم حباً طبيعياً، لكن يبغض دينهم، ويبغض طريقهم، وتظهر عداوته لهم في هذا الباب.

وأما معنى الإيمان بالله: فأن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون من سواه.

فإن عُبد معه غيره فبباطل، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢].

لو قال: "فأن تعتقد أن الله هو الإله المعبود" وسكت؛ يكون فيها ما يحتاج إلى تقييد، لكن هو الإله المعبود وحده دون ما سواه؛ المعبود بحق، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾، فمن عُبد من غير الله عَزَّوَجَلَّ فصرف العبادة له باطلة.

وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥]، ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر:٢-٣].

وتنفيها عن كل معبود سواه.

قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء:٣٦]، ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ۝١٤﴾ [فاطر:١٣-١٤]، ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سبأ:٢٢] **نفي الملك**، ﴿وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ﴾ **نفي**

الشراكة، ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ **نفي العون،** ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ **نفي الشفاعة إلا بإذنه.**

إذاً انتفت جميع أنواع التعلقات بغير الله عَزَّوَجَلَّ، فالأمر عائد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فلا بد أن تعبد الله بالإخلاص، وهو إفراد العبادة له؛ لا يُشرك معه غيره، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل. الله عَزَّوَجَلَّ يقول لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥] -وحاشاه من الشرك-، فكيف بغيره الذي يقع في الشرك والتنديد ويزعم أنه على مرضاة رب العباد؟! لا يكون هذا، لا يمكن أن يوجد مشرك وهو على الطريق السديد، على التوحيد؛ لأنهما ضدان، والضدان لا يجتمعان ولا يرتفعان؛ فإما أن يكون العبد على التوحيد والإيمان الخالص، وإما أن يكون على الشرك والتنديد. وما بين ذلك إن كان من أهل الإيمان وإن كان عاصياً فهو محسوب إليهم ومآله معهم، وإن كان مشركاً منداداً فهو من أهل الإجرام، ولا تنفعه بعض الأعمال الصالحة؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣].

وما أحسن ذلك المثل الذي ضربه الإمام المجدد بالشرك! قال: "الشرك مثل الحدث؛ فلو أن أحدهم صلى وهو محدث ما قُبلت صلاته، كذلك الشرك إذا دخل في العبادة أفسدها". وهذا أمر الحدث مُجمع عليه، لكن ضُرب هذا المثل ليُعلم هذا المشرك أنه ما يأتي ويقول: "لا، أنا أدعو الله في حالة الاضطرار، أنا قد أنفق في أوجه الخير، أنا قد أفعل"، يُقال له: "والمصلي يركع ويسجد ويسبح

ويحمد ويكبر ويهلل، لكن إذا كان محدثًا؛ كل هذه العبادات ما تنفعه ولا تُرفع، بل لو تعمد الاستهزاء بالدين كفر". فلا بد من ضبط هذه المسألة؛ يعني المشرك كالمحدث، حدث لا تُقبل معه الصلاة.

وَتُخْلِصَ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ كُلَّهَا لِلَّهِ.

والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال والمعتقدات، لا يخرج شيء مما أمر الله به من العبادة.

وَتَنْفِيهَا عَنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ.

سواء كان ملكًا، أو نبيًا، أو وليًا، أو شيطانًا، أو حجراً، أو شجراً.

وَتُحِبَّ أَهْلَ الْإِخْلَاصِ.

لأن هذا يدل على حبك وإخلاصك، المرء مع من أحب، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة:٢٢]، مفهومه: أن المؤمن يحب من وحد الله واتبع رسوله ﷺ، «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**» [رواه البخاري (١٣)، مسلم(٤٥)]، فأهل الإخلاص يُحَبُّون في الله.

وَتُوَالِيَهُمْ.

تنصرهم إن استطعت، وتنصح لهم، وتدعو لهم.

وَتُبْغِضَ أَهْلَ الشِّرْكِ وَتُعَادِيَهُمْ.

هذا هو عُرى الإيمان، أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله.

أوثق عرى الإيمان أن تكون موحداً لله، حاباً ومناصراً ومؤيداً ومكثراً لمن هو مع الله عَزَّوَجَلَّ، بهذا يقوم المجتمع المسلم؛ آخى النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بين المهاجرين والأنصار، وأخر صلاة العصر للإصلاح بين بعض الأنصار، وكم هي المواقف العظيمة التي بها تقارب المؤمنون وألف بين قلوبهم: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال:٦٣].

فبغضك يكون للمشركين المنددين، وحبك يكون للمؤمنين الموحدين؛ لأن حبك للمؤمنين هو موافقة لمحبة الله لهم وموافقة لمحبة الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لهم، وبغضك للمشركين كذلك؛ لأن الله يبغض الشرك والنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يبغض الشرك، والله عَزَّوَجَلَّ عدو المشركين والنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عدو المشركين، ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٩٨]؛ ولذلك يقال عن فلان: "عدو الله"، ومن عاداه الله فقد قصمه.

وَهَذِهِ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ.

يعني التوحيد والإخلاص هو ملة إبراهيم. قد يقول قائل: كيف ملة إبراهيم وإبراهيم قد ذهب ونحن مأمورون بمتابعة محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟! نقول: الأنبياء جميعاً قد اتفقوا على التوحيد، وإبراهيم هو أبو الرسل بعده؛ فكلهم من ذريته.

وقوله: (**وَهَذِهِ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ**)؛ ملة أي دين إبراهيم، ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٢١﴾ [النحل:١٢٠-١٢١].

الَّتِي سَفِهَ نَفْسَهُ مَنْ رَغِبَ عَنْهَا.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة:١٣٠]؛ سفه في أفعاله وفي أقواله، وأذل نفسه بالسفه.

وَهِيَ الْأُسْوَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ. ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤].

الأسوة: القدوة، أخبرنا الله وأمرنا أن نتأسى بإبراهيم ونقتدي به.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾: أي: من الموحدين.

﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: هذا هو البراءة من أهل الشرك، والبعد عنهم، والبغض لهم.

﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا﴾: هذا هو الذي تقدم أنه لا بد من معاداة الكافرين وبغض الكافرين، وهذه العداوة والبغضاء لا تنتهي، لا يكون أمرها إلى أجل ثم تنتهي؛ لا، ولكنها مستمرة ما داموا على كفرهم، ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾؛ توحدوا الله وتدخلوا في دين الإسلام وتلتزموا شرع الله.

﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾؛ يعني لو قال قائل: إبراهيم قد وعد أباه بالاستغفار، إذاً عندنا أسوة في إبراهيم في الاستغفار لآبائنا المشركين أو لغيرهم! يُقال: لا، إبراهيم إنما وعد أباه لعله قبل أن يوحى إليه أن هذا حرام وهذا لا يجوز، وإلا فإنها قد وقعت بينه وبينه البراءة، ﴿وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾؛ فالأمر لله

عَزَّوَجَلَّ أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة:٤].

فهذه المسألة من مهمات المسائل؛ مسألة الإيمان بالله وحده لا شريك له، والكفر بالطاغوت، والبراءة منه؛ يعني من الأمور المهمة؛ إذ إن الإيمان لا يتم إلا بهذا، لا يتم الإيمان إلا بتحقيق العبادة لله، والبراءة مما يُعبد من دون الله.

وأي عيش وإيمان لو كنت أنت تصلي لله وترضى لواحد بجانبك يصلي للصنم؟! أي إيمان هذا الذي يجعل الإنسان يرضى بهذا؟! لا يمكن أبداً! حتى وإن أحسن إليك، وإن أحسن إليك وإن تلطف بك وإن أعطاك؛ كافر كافر! كافر كافر لا بد أن يكون بينك وبينه ولاء وبراء.

انظر إلى إبراهيم؛ أبوه الذي هو سبب في وجوده، يقول: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف:٢٦]، وأكدها بقوله: ﴿أَبَدًا﴾؛ يعني لا تنقضي هذه البراءة بسبب حصول مصلحة، أو بسبب حاجة أو ضرورة، حتى لو قُدِّر أن الكافر تسلط عليك؛ لا يجوز لك أن تحبه أو تودّه، ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران:٢٨]؛ لك أن تصالحه، لك أن تفعل شيئًا من المداراة لصد باطله، لكن أن تحبه بقلبك أو تناصره بفعلك؛ أبداً ما يجوز، لا يجوز؛ لأن حب الكافر -لا سيما لدينه- بغض للتوحيد ولا بد! وإن قال لك: "أنا أؤمن بالتوحيد، أنا موحد"، كيف مؤمن بالتوحيد وأنت تحب الشرك والتنديد، وتحب ما يُعبد من دون الله، وترضى بما يُفعل من أصحاب الأصنام والأوثان؟!

فهذه مسألة مهمة: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾؛ ولذلك بدأ الله بالكفر بالطاغوت قبل الأمر بالإيمان به، أو قبل الإخبار عن المؤمنين به، وإنما جُعلت الجنة لمن آمن بالله وكفر بما يُعبد من دون الله.

هناك قاعدة يقولون: "لا ولاء إلا ببراء"، صح أنها مذكورة عند الرافضة؛ يعني من حيث إنك قد تحب أبا بكر وعمر مع حب علي بن أبي طالب، وهم يزعمون أن حب علي بن أبي طالب يلزم منه بغض أبي بكر وعمر، وحب أبي بكر وعمر يلزم منه بغض علي بن أبي طالب؛ هذا ما هو صحيح، لكن في باب التوحيد والشرك لا بد من هذا: "لا توحيد إلا ببراءة من الشرك"، وإذا وقع الشرك حصلت البراءة من التوحيد.

وَالطَّاغُوتُ عَامٌّ.

يعني لفظ عام تدخل تحته عدة معانٍ، فليس هو معنى واحد. فمن فسر الطاغوت بالشيطان فقد فسره ببعض معانيه، ومن فسره بالكاهن فسره ببعض معانيه.

فقوله: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ يصح أن تستدل به على:

اجتنبوا الشيطان وأعمال الشيطان.

اجتنبوا الساحر وأعمال الساحر.

اجتنبوا الباطل وأهل الباطل.

فكل ما عُبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبودٍ، أو متبوعٍ، أو مطاعٍ في غير طاعة الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو طاغوت.

ولذلك كان شيخنا مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: "مجلس النواب طاغوتي، والديمقراطية طاغوتية".

والطواغيت كثيرة، ورؤوسهم خمسة.

وهؤلاء الخمسة كلهم كفرة، إلا في الحكم بغير ما أنزل الله ففيه تفصيل، والحاكم الجائر أيضـًا فيه تفصيل. وإلا فالشيطان كافر، والساحر كافر، ومن عُبد وهو راضٍ كافر، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه أو عبادة غيره فهو كافر.

ثم أيضـًا الحذر من مثل هذا الأمر؛ لأن كثيراً من الخوارج يتكلمون في حكام المسلمين: فلان طاغوت، فلان طاغوت، ويقصدون به التكفير. فلا بد أن يميَّز الكلام الذي يدل على الكفر من الكلام الذي يدل على معنى آخر؛ لأن لفظ الطاغوت -كما تقدم -عام. إذا قيل لك: "فلان أتى طاغوتـًا" ربما في مسألة من المسائل خالف فيها الشرع، فهنا لا يدل على تكفير.

وعلى ما أذكر أن بعض إخواننا قبل أيام سُئل عن بعض المبتدعة فقال فيهم: "طواغيت"، فظن الظان أنه كفّرهم، وليس كذلك؛ ليست كلمة طاغوت معناها كافر، لكن قد تدخل تحت معانيها الكفر، وقد تدخل تحت معانيها البدعة والمعصية؛ على تعريف ابن القيم، الطاغوت يدل على العموم من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاع.

الأول: الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله.

الشيطان نفسه طاغوت في كل أحواله: في حال دعوته إلى عبادة غير الله، وفي حال عصيانه لله، وفي حال وسوسته للإنسان. وقول الله: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ يدخل فيه دخولاً أوليًا الشيطان؛ أن يُجتنب ويُحذر ويُبتعد منه، وتُسلك السبل المؤدية إلى البعد عنه.

والدليل قوله تعالى: ﴿۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠﴾ [يس:٦٠].

ثم إن أغلب -بل كل -الطواغيت الأخرى إلا وللشيطان فيها حظ في أزّها وإضلالها واتباعها خطوات الشيطان. وعهد الله عَزَّوَجَلَّ إلى الإنسان بالفطرة التي فطره عليها، ثم بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

ومعنى ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ أي: أن لا تطيعوا الشيطان في عبادة غير الله، وإلا أكثر المشركين ربما لا يعبدون الشيطان صراحة. وعباد الشيطان هم فرقة الآن منتشرة في كثير من دول العالم، يعني يدعون إلى تقديس الشيطان وإلى عبادة الشيطان، لكن كل من عبد غير الله عَزَّوَجَلَّ كان كالعابد للشيطان؛ لأن الشيطان هو الآمر، وهو الداعي إلى هذا الشر. ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ عداوته ظاهرة بينة.

الثاني: الحاكم الجائر المغير لأحكام الله تعالى.

وهذا فيه تفصيل على ما قدمت لكم: إن كان تغييره لأحكام الله على أن هذه الأحكام أحسن من حكم الله، أو مثل حكم الله، أو أن حكم الله لا يصلح لهذا

الزمان؛ فهذا كافر كفراً أكبر مخرجًا من الملة. وأما إذا كان على الهوى أو نحو ذلك فهذا عاصٍ.

والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ ۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: أخبرني يا محمد.

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: من المنافقين؛ حيث كانوا يزعمون أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول.

﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾: من التوراة والإنجيل.

﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾: إلى كعب بن الأشرف وإلى غيره من الكهان والعرافين.

﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ ۖ﴾: أن ينتهوا ويتأوا عنه.

﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾: بهذا التحاكم إلى غير ما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ.

بهذه الآية تعلم أن التحاكم إلى غير ما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ يُعتبر جريمة وكبيرة وعظيمة، والله المستعان. وما أكثر التحاكم إلى غير شرع الله في هذا الزمان، سواء في البلاد الإسلامية أو في غير البلاد الإسلامية! فقد وضعوا الدساتير، ووضعوا القوانين، وكذلك القبائل فيها من الأحكام العرفية المخالفة للكتاب والسنة ما الله به عليم، مثل "الحَجَر"، ومثل بعض الأحكام التي يسمونها "الحكومة"،

و"المهدّش"، و"العيب"، ونحو ذلك من الأمور التي ما أنزل الله بها من سلطان. ولذلك ربما كان مشايخ القبائل يُطلق عليهم في بعض المواطن "طواغيت" لكثرة مخالفتهم لشرع الله، ولكثرة محاكمة الناس إليهم على غير كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الثالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله.

على التفصيل السابق: إن كان يعتقد أن حكمه أفضل من حكم الله، أو مثل حكم الله، أو أن حكم الله لا يصلح لهذا الزمان فهو كفر. وإن كان يحكم بذلك هوى ورغبة في الدنيا ونحو ذلك فهي معصية وكبيرة.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

عند جماهير السلف أنه "كفر دون كفر"، وبعضهم ذهب إلى أن الآية في شأن اليهود. والآية قد جاءت بلفظ: ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وجاء بعدها ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، وجاء بعدها ﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾. فلا بد من السير على سير السلف، وأنه لا بد من الاستحلال حتى يُكفَّر الحاكم بغير ما أنزل الله، أما مع الهوى أو كذلك الشبهة أو الطمع في الدنيا فإنه يكون مرتكبًا لكبيرة لا كافراً.

الرابع: الذي يدعي علم الغيب من دون الله.

المراد به الغيب المطلق، ما هو كل غيب؛ قد يقول لك: "أنا أعرف ما في غرفتي"، وأنت ما تعرف ما في غرفته، أنت بالنسبة لك ما في غرفته غيب، وبالنسبة له معلوم.

وأيضاً ليس منه معرفة ما في بطون النساء بعد تكون الجنين، فإنه يُنظر إليه بالجهاز ويصبح مرئياً عند الأطباء وعند من له ذلك الجهاز. وهكذا ليس منه هذه التوقعات لنزول الأمطار وجريان الرياح ونحو ذلك. وإنما المراد به الغيب المطلق الذي لا يعلمه إلا الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾ [لقمان:٣٤]، هذا هو الغيب المطلق، ويسمى بـ"مفاتح الغيب" كما في حديث عبد الله بن عمر في البخاري: «مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ» [رواه البخاري(١٠٣٩)]، وقرأ آخر آية من سورة لقمان.

وهذا أحد أوجه كفر السحرة والمشعوذين: ادعاء علم الغيب؛ أحد أوجه كفر السحرة والمشعوذين أنهم يدعون علم الغيب، وأنهم يمتهنون القرآن، ويستهزئون بشريعة الله، وكذلك يتعبدون للجن بما أمروهم به، إلى غير ذلك من أوجه الكفر. فالذي يدعي علم الغيب المطلق، كأن يقول: "فلان يعلم ما في الصدور"، أو "يعلم متى يموت"، أو "يعلم متى يُبعث"، كل هذا من الزور.

والدليل قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ٢٧﴾ [الجن:٢٦-٢٧].

أي يُعلمه ويُطلعه على ما أراد. وقوله: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥].

وقوله تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾ [الأنعام:٥٩].

دليل على علمه بجميع الموجودات. فادعاء علم الغيب المطلق كفر أكبر مخرج من الملة؛ لأن الغيب المطلق من خصائص الله عَزَّوَجَلَّ.

الخامس: الذي يُعبد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة.

أو يرضى بعبادة غيره. الذي يُعبد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة، أو يُعبد غيره وهو راضٍ بعبادة غيره، أي بعبادة غير الله. فقوله: "عُبد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة" خرج به عيسى، وخرج به الأنبياء والملائكة الذين يعبدهم المشركون والمنددون وهم غير راضين بهذه العبادة، بل حذروا منها، والله المستعان.

والدليل قوله تعالى: ﴿۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ [الأنبياء:٢٩]،

ثم استثنى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠١]؛ لأن كفار قريش أرادوا أن يخاصموا محمداً صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فقالوا: "يا

محمد، أنت تزعم أن من عُبد من دون الله أنه في النار: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء:٩٨]"، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾. فمن يقل من المشركين والمنددين إنه إله من دون الله فهو كافر كفراً أكبر مخرجاً من الملة.

واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمنًا بالله إلا بالكفر بالطاغوت.

كما تقدم.

والدليل قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦].

والعروة الوثقى هي: "لا إله إلا الله". والله سميع عليم: سميع لأقوالكم، عليم بأفعالكم.

والرشد: دين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لأن الله أمر به.

والغي: دين أبي جهل.

الكفر؛ لأن أول الآية: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ﴾ وهو دين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ وهو دين أبي جهل، أي دين الكفر.

والعروة الوثقى: شهادة أن لا إله إلا الله، وهي متضمنة للنفي والإثبات.

نفي الألوهية عما سوى الله: "لا إله".

وإثبات الألوهية الحقة لله عَزَّوَجَلَّ: "إلا الله".

تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله تعالى، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

بهذا نكون قد انتهينا من التعليق المختصر على هذه الرسالة المفيدة، ولقد حوت جملاً عظيمة من جمل التوحيد؛ إذ تكلمت على معنى "لا إله إلا الله"، وشروط "لا إله إلا الله"، وعدة تقسيمات يحتاجها الطالب سواء في باب الشرك أو النفاق أو نحو ذلك، ومعنى الطاغوت، وأقسام التوحيد الثلاثة التي ينكرها المبتدعة ويتنكرون لها، وبيان الشرك وأنواعه، وأنه ليس فقط بالسجود لغير الله وإن كان السجود لغير الله شركـًا، لكن الشرك أعم من ذلك: شرك المحبة، شرك الخوف، شرك التوكل، عدة أنواع يقع بها الشرك الأكبر المخرج من الملة.

مثل هذه الأمور وهذه التفريعات يحتاجها الطالب، وربما إذا قرأت المطولات ما تجد مثل هذا.

يعني الآن هذه الرسالة القصيرة في مبناها، العظيمة في معناها، مفيدة جداً؛ ولذلك ينبغي لطلاب العلم أن يهتموا بدراسة المختصرات قبل دراسة المطولات. المطولات فيها علوم كثيرة ومفيدة، لكن هذه المختصرات تحتاج أن تسير معك، وأيضـًا تكون في متناول اليد بأقصر عبارة.

فمثل هذه الرسالة من الرسائل المهمة المفيدة التي يحتاج الطالب إلى دراستها، وإلى التأمل فيها، وإلى تدريسها وبيانها للناس؛ لحاجة الناس إلى الكلام في التوحيد وعدم استغنائهم عن ذلك؛ لأن الشيطان لن يتوقف ولم يتوقف

عن الشبه في الشرك، أو الشبه التي يوردها على الموحدين؛ فلذلك لا بد من الاستمرار في دراسة التوحيد وفي تدريسه.

بهذا نكون قد انتهينا من هذه الرسالة الطيبة النافعة والحمد لله رب العالمين.

الفهرس

المقدمة ٧

مقدمة المؤلف ٩

أصل الدين وقاعدته ٢٨

- التحريض على التوحيد: ٢٩
- الموالاة في الله: ٣٠
- تكفير من ترك عبادة الله: ٣٢
- التغليظ والمعاداة في الشرك: ٣٤
- تكفير من فعل الشرك: ٣٥

شروط «لا إله إلا الله» ٣٦

- أخطاء في تفسير «لا إله إلا الله»: ٣٧
- فضل كلمة التوحيد: ٣٨
- العمل بلا إله إلا الله: ٤٠
- شرح شروط «لا إله إلا الله»: ٤٢
- الانقياد لحقوق «لا إله إلا الله»: ٤٥
- دليل شرط اليقين: ٥١
- اليقين سبب لدخول الجنة: ٥٦
- دليل شرط الإخلاص: ٥٨
- فضل الإخلاص في كلمة التوحيد: ٥٩
- دليل شرط الصدق: ٦٢
- دليل شرط المحبة: ٦٥
- دليل الانقياد : ٧٣
- دليل القبول : ٧٦
- مثل ما بعث به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الهدى والعلم : ٨٠
- الكفر بالطاغوت شرط في صحة الكلمة : ٨٢

نواقض الإسلام ٨٤

- الأول: الشرك في عبادة الله : ٨٥
- الثالث: عدم تكفير المشركين أو الشك في كفرهم ٨٨
- الرابع: تفضيل غير هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هديه : ٨٨

- الخامس: بغض شيء مما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ٨٩
- تنبيه مهم ٨٩
- السادس: الاستهزاء بشيء من الدين ٩٠
- السابع: السحر ٩٢
- الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين ٩٤
- التاسع: اعتقاد جواز الخروج عن شريعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ٩٦
- العاشر: الإعراض عن دين الله تعالى ٩٧
- الهازل والجاد والخائف والمكره ٩٨

أنواع التوحيد ١٠٠

- الأول: توحيد الربوبية ١٠١
- الثاني: توحيد الألوهية ١٠٣
- الثالث: توحيد الأسماء والصفات: ١٠٧

الشرك وأنواعه ١٠٩

- الفروق بين الشرك الأكبر والأصغر ١١٠
- الشرك الأكبر: ١١١
- أنواع الشرك الأكبر: ١١٣
- الثاني: شرك النية والقصد: ١١٤
- الثالث: شرك الطاعة: ١١٤
- الرابع: شرك المحبة: ١١٥

أنواع الكفر ١١٦

أنواع النفاق ١٢٣

- النفاق الاعتقادي: ١٢٣

الكفر بالطاغوت ١٢٨

الفهرس ١٤٧